12

محمد المختار السوسي

أصفى الموارد

في

تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد

المغرب

١٢

محمد المختار السوسي

أصفى الموارد

في

تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

مقدمة

الحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وأمنا ، وهيأ للقلوب من حج الديار المقدسة في مكة والمدينة المنورة ما ينقيها من الغفلة والاخلاد الى النفوس والى شهواتها فضلا منه ومنا ، والصلاة والسلام على خير من يزار قبر'ه في طيبة المكرمة ، وعلى ءاله وصحابه من حازوا في كل المكارم خير منقبة ٠

أما بعد : فقد كان الشيخ الوالد رحمه الله كتب رحلة أيام سفره الى الحج سنة ١٣٠٥هـ ولكنه لم ينقحها ، وبقيت في مبيضتها ٠ ولم يتأت له أن يراجعها لينقح منها ما يحتاج الى التنقيح ، لانه كان يلقى الابيات أولا على عواهنها ، من غير أن يشذ بها ولا أن يهذبها ٠ وفي بعض الابيات خلل في الوزن ، وفي بعضها تغيير في القافية ٠ ولم يكن الشيخ خاليا من علم العروض ولو تأتى له أن يحررها لكانت سالمة من كل ذلك ولكن زواه عن ذلك ما زواه مما امتلأت به حياته ، مع ما كان أصابه في غالب رحلته من ضعف فقد كان اعتراه مرض هناك عضال ، ربما كان هو الزاوي له عن تنقيح ما يكتب ٠ ثم بقيت في مبيضتها الى أن جاءت الينا نسخة مكتوبة بيد الفقير الصادق ، والفقيه اللوذعي ٠ سيدي محمد بن البخاري الدرعي فرأيت تلك النسخة ربما ألم بها أيضا مسخ النساخ ، زيادة على عدم تنقيحها أولا ٠ فجاء بعض أبياتها في شكل لايمت الى النظم بسبب ، فأخذتني الغيرة ، فظهر لي أن أخطها بيدي ٠ وان أنقح منها بعض أبيات محافظا على الالفاظ ما أمكن ، واما روحها فهو القطب الذي لايتزحزح ٠ على أنني ربما أتم موضوعا قد طرقه ، ثم لم يستتم منه المعنى المراد ٠ بل يتركه مقتضبا ، وربما تكلم أيضا في مقام كلاما بكيفية لاتناسب الصناعة ٠ فأحوله الى كيفية أخرى أمس بالصناعة ، وربما ءاتي من جديد بذكر حادثة كما هي عادته في مقامات أخرى ٠ وبذلك كله صار للرحلة رواء يدخلها في عديد الرحلات ، وهذا كله في الحقيقة قد انشأها نشأ جديدا ومن أراد التبرك بالاصل على ما هو عليه فانه موجود وقد كنت أولا لم أظفر الا ببعض الرحلة فخرجته ٠ ثم ظفرت بالباقي فألحقته بأخيه ٠ ولله الحمد ٠ فها أنذا سأتتبعها وعلى الله الكمال ٠ وعليه التكلان بحوله وقوته ٠

قال رحمه الله ورضي عنه :

بسم الاله والصلاة والسلام ... على النبي المصطفى خير الأنام
الحمد لله الذي سددنا ... ولبقاع المصطفى أرشدنا
وآلف القرشيين في الشتا ... والصيف رحلة بها لمن أتى
أكرمنا بنعمة الايمان ، ... بخير خلق الله والقرآن
أكرمنا بنعمة الايجاد ... أكرمنا بنعمة الامداد
وارسل الرسول بالبشارة ... مصرحا بها بلا اشارة
(من قال لا اله الا الله ... محمد أرسله الاله) (١)
يفز من الاله بالجنان ... ويعتزز بحلة الرضوان
وذاك مروى عن البخاري ... وغيره فقل ولا تمار
وقال في محكمه التنزيل ... الفائق الآيات والترتيل
للمجتبى رسوله الخليل ... ونجله النبي اسماعيل
ان طهرا بيتي بذا قد عهدا ... اليهما وللخليل أسندا
اذن ، فوصل الهي الدعا ... لكل من لبى وطاف وسعى
فعظم الاله ذلك الحرم ... وكرم القاصد غاية الكرم
ومن يعظم حرمات الله ... ويترك الكل من الملاهي
فذاك خير له عند ربه ... وحقق التقوى له في قلبه
جعلني الله الذي قد عظما ... جميع ما الله له قد أكرما
ويقتفي سبيل من قد ارسلا ... علما وحالا ومقالا عملا
ومنهج الاصحاب والاتباع ... ومنهج الشم ذوى الاجماع

* * *

وبعد فاعلم أن للاشباح ... دعوى ببرهان على الارواح
وليس يخفي حقها لمنصف ... وليس يبدو نصها لمتلف
قد اشتكى الشبح بالروح وقال ... مبينا حقوقه بذا المقال
أنا محلها وليس من مقيل ... لها سواى ، بى تبيت وتقيل
أنا قوامها وبي تصول ... في كل حومة وبي تجول
هجرت حقا جملة الحبائب ... فملت بالكل عن الرغائب
وهي بكأس الوصل من حبيبي ... تلتذ وحدها بلا رقيب
وانني اشتاق ان أرشفه من ... اشرابها بل انني به قمن
لكنها ليست تراعي الجارا ... فتغتذى عليه ممن جارا
تمتص عند الحب صفو الكأس ... وانني أنبذ لا مواسي
أشارك الروح لدى المكاسب ... وتبغض الشرك لدى المواهب
هذا ورب البيت من منكور ... ليس بمعروف ولا مشكور
تركت ملبسا ومأكلا معا ... ومنطقا ومنظرا ومسمعا

---

(١) بيت من نظم ابن عاشر في فقه العبادات .

ومفرشا ومركبا ومضجعا ... ومنزلا بل لا أرود مجمعا
لكى تنال الروح قرب الله ... ورسله كى لا ترى كالالاهى
وتجتنى العلم من المعارف ... لذيذة خفية اللطائف
وترتقى كراسى التوحيد ... بحلية التفريد والتجريد
اذ زوجت بحضرة القدوس ... ومهرها يكون بالنفوس
ان يقبل العبد على مولاه ... مشمرا مجتنبا هواه
محقق التوبة والانابة ... ومخلصا لوجهه ايابه
متبع السنة والكتاب ... محاسب الحوباء بالعتاب (١)
مستغرق الاوقات بالاذكار ... فى الليل والنهار والاسحار
مبتهلا مداوم الافكار ... مستحضرا عظمة القهار
وقاطعا وساوس الشيطان ... مقتبسا من حضرة الرحمان
مطلق الدنيا طلاقا بتا ... وآبقا منها كما ابن متى (٢)
مصارم الوصل لها على الدوام ... بقلبه وذاته الى التمام
ولو بان يسلم السلاما ... ان السلام يفتح الكلاما
رأس الخطايا مجمع الاكدار ... وهامة الفتن والاشرار
ومن يصارم مجمع الاكدار ... وبؤرة الفتن والاغيار
لابد أن يصرم من لها انتمى ... ابناءها ان كان بالله اعتنى
فهجرهم هجرا يرى جميلا ... واتخذ الله فقط وكيلا
لن تجدوا قوما يوادون الذى ... حاد الاله والرسول فاحتذ
وذاكرا لاسمه بالتبتيل ... اليه مثل ما لدى التنزيل
الله قل لجمعه المعانى ... فى أقرب يقرب الامانى
مشخص الحروف بالحضور ... من غير أن تميل للفتور
وذرهم فى الخوض يلعبونا ... الى حظوظ الوهم يسرعونا
واصبر على القول اذا سمعتا ... منهم ، فانت الكون قد وسعتا
ونفسك افطمها عن اللذات ... فأنت فى منى وفى لذات
مستوثقا بالله والاشياخ ... فى غسلها من درن الاوساخ
واقتد بالشيخ كمال الاقتدا ... لتهتدى به كمال الاهتدا
وقف على الحد الذى يحد لك ... فحده لله نهج من سلك
فليس يأمر بغير الشرع ... فهو السبيل وحده والمرعى
فالشيخ باب منه تدخل الى ... مولاك منه ترتقى الى العلا
واتوا البيوت أيها الطلاب ... من بابها يفتح لكم بواب
قد قيل من ليس له أستاذ ... فشيخه الشيطان والملاذ
لانه لابد ممن يامرك ... فى كل ما تفعله وينصرك
والعقبات فى الطريق شتى ... وأنت فى جهل الطريق أنتا

١) الحوباء : النفس ٢) يونس بن متى الذى ابق الى الفلك ، والابق الهارب

والترهات باللصوص تعترض ... وأنت وحدك لهم هو الغرض
أطامع أنت النجاة وحدكا ... وان بذلت في النجاة جهدكا
لذاك كن عارف الطريق ... يلزم كل منتحي طريق
وعارف الطرق في السلوك ... هم الشيوخ عارفو الملوك
من لم يكن شيخ امامه هلك ... والقصد بالاوهام منه ينتهك
حذف الوسائط جميعها اختلال ... توكل على وجودها ضلال
فتلك سنة ولا تبديلا ... لسنة الله ولا تحويلا
وكان مرويا عن الاخيار ... أهل الصفا وغيبة الاسرار
من راض نفسه على العبادة ... من غير شيخ فهوى وعادة
لابد أن تبقى به كلسوم ... اذ لم يطب داءه الحكيم
وربما يسرى الى حضيض ... من غير أن يشعر بالحضيض
وكل صنعة فلابد لها ... من عارف طرقها وسبلها
أما ترى العلوم ليست توخذ ... عن غير خريت لديها ينفذ
كذلك القلب فليس يصفو ... الا اذا خطو صفي يقفو
ومن يرد به الاله خيرا ... ياتيه بالشيخ يقيه ضيرا
موصلا لحضرة الرحمن ... مستغرقا في حضرة العدناني
وجامعا للجذب والسلوك ... وعارفا بملك الملوك
وليس يخطر له في القلب ... سوى الاله ثملا بالحب
متى أراد الله ذلك فقد ... أسبغ فضلا نعما بلا عدد
فاعلم بأنه أرادك الى ... تخصيص معرفته بين الملا
سبحان من لم يجعل الدليلا ... الى وليه ولا سبيلا
من غير ما يجعله لنفسه ... يا ويح من لم يدر غير حسه
وخصلة الخير هي الباب الى ... معرفة الولى ومن ليس فلا
وباعث الخصلة شدة العطش ... في القلب ثم طلب للمنتعش (١)
فحسن الظن بخلق الله ... تفز بخير الخلق غير واه
اياك والظن الخسيس انا ... أخاه لا يفلح حيث عنا
عليك بالظن الجميل صاح ... فانه الاقرب للصلاح
فقد مضى الكلام ان الروحا ... تتابع الغبوق والصبوحا (٢)
وجارها الشبح كان يشتكي ... من حظه الضائع في المشترك
وغير راض تركه الوصالا ... للحب كيما يبلغ الكمالا
وداعيا للحكم الترضي حكو ... متـه من ليس لحق يترك

---

١) أي الانتعاش .
٢) يقال الغبوق للشراب الذي يشرب عشية ، والصبوح الذي يشرب صباحا

تحـاكما وقيـد المقـال | في دسته وكشفت أحـوال
فشهـد العـدلان للاشباح | بأن حـق الجـار في الصحاح
وانـه قـد فـرض الوصال | بالحج ما استدارت الاحوال (١)
فحكم الحـاكم للاشبـاح | بمثل ما حكـم للارواح
من شرب كاس الوصل للحبائب | مـع اقتضاء سائر المطالب
في قصد بيته وزورة النبي | يا سعـد يا بشرى بنيـل المطلب
فانتعشت بنهضتـي الاكـوان | وامتـلأت بالبهجـة الاعهـان

السفر من البلغ

في عام (شسه) (٢) وبيوم اثنين | (يز) (٣) لشعبان أتان يمنى
خرجت مـن بلدنـا وقت الضحى | والبين قـد أبدى الاسى وأوضحا
وفي القلوب حرقـة الفـراق | وانما يسلى رجـا التـلاقي
ان الفراق قطعـة العـذاب | بل كله عند ذوى الاحباب
قـد جـرع الاخوان من تشييعي | كأس المرارة لـدى التوديـع
فمنهـم الحـائـر والـولهـان | ومسبـل الجمان والسكـران
لكننـي ودعتهـم للـه | فليس عـن ودائـع بساهـي
ورجعوا والدمـع في المحاجر | كأنـه منتثر الجـواهـر
وبعدهـم لـم يـزل الفقيـه | أخو العـلا السميذع النبيـه
يطوى الطريـق معنـا في السير | ومن يشيع حاز كل خـير
الاخ والصهر مـن انتمت لـه | محاسن الخلق فأبدت فضلـه
علامـة الدهـر ونخبة الزمان | وفخـر ذا العصر عـلى كـل أوان
ورايـة العلـم عليه خافقـة | وشمسه شرق سماه شارقة
اليه يرجع الصـلاح والادب | وفكره قطب القريض والادب
فدرس العلم عـلى الـدوام | بالبحث مثل مخذم صمصام (٣)
لم تلهه الدنيا عن التدريس | ولا عن الذكر لدى التقديس
وكلنـا مـن نسب متصـل | وهو أبو الحسن سيـدى علي
متبعـا شقيقـه محمـدا | من كان في الهمة فردا أوحدا
من يفعل الخير الذى قد فعله | يعمل في العمر القصير عمله
قد خلف الذى عليه يجرى | في حال موته بخير ذخـر

---

١) جمع حول ٠
٢) أحرف (شسه) ترمز بالعدد الى ١٣٠٥ ، وكذلك (يز) أى ١٧
٣) السيف القاطع

لانــه أكرم من كــــريـــم | بــأى عزم مقعـــد مقيـــم
ففـــاق بالجـــد والاجتهـــاد | أقرانـــه من زمـن المهـــاد
ففاتهم وسلموا فـى السبق | من مثله فى الغرب أو فى الشرق
وهو الذى أسس من بلدتنا | مدرسة شادت له كل الثنا
ودرس العلـم لـه تلامـذة | عـديـدة لهـم فهوم نافـذة
وحبس الاحباسَ ثم خلفـــا | أولاده ينتجعـــون الشرفـــا
فهذه الثـلاثـة التى ذكـر | لفاعل أجر بهـا وان قبر
ومعنـا محب أهل الخـــير | من لم يفارقهـم بكل سير
من وصفه أوصاف أهل الله | وقلبـــه لاه عن المـــلاهـى
لـه عديـدة مـنَ المنـاقب | تحط مـا لـه من المثـالب
أخلاقه طابت سليم الصـــدر | من كل شين شان أهل القدر
شجرة السخا حمت له الحمى | وأطلقت لـه اللسان والفمـا
فوجـد الفضل لذلك السخا | ففلكـه تمخر بالريـح الرخا
حبى أبـو سالـم الغشانـى | خـادم علـم قـارئ القرآن
(ومعنا أيضا من الاخيـار | أخص أحبـابى مـن الابرار
ذلك أحمد الزمامى ذو التقى | وذو الحياء والسخاء والنقا)
وكـل واحد نوى التشييعـا | لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم | بنـــا فودعت القرى وقومى

فى زاويـة تازاروالت

فارتحل الركب بنا سيرا الى | زاوية الشيخ طفاوة العـــلا
سيدى أحمد بن موسى قاصدْين | أخص أحبابى لديه نازلـــينْ
مـن انبـأت أخلاقه ووصفـه | وعلمـه وعقلـــه ولطفـــه
بأنـه المحفـوف بالعنايـــة | وانـه الموسوم بالـولايـــة
ذو نســك وورع وزهـــد | وسنـــة وعفـــة ورشـــد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد | والشبل فى المخبر ذاك الاسد
اسمه ابراهيم نجل صالـــح | ولم يخالط قط غير ناصـــح
وكان هـذا أول المراحل | نزلتـه فنيـل خـير نائـــل
فكل ما اشتهته نفس النازل | تنالـه اليـد بـلا منـــاول
وفى الصباح كنت فى صباح | فى ذكر أهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال | والحب فى الله دوام الاتصال
وارسلت أمـــه خـاتمـا الى | لكى يزار قبر سيـد قصى
وبعد مـا وصلته لقبتـــه | ازرتـه فيهـا فجـــا لربتـه

ثمت من بعد الضحاء الانور سرنا لقبة ابن موسى الاشهر
فاجتمع النـاس بها وزرنا بذكرنا المعلوم ان ذكرنـا
فظهر السر لنـا بحضرتـه يراه من كان يرى بنظرته
وبعد ما زرنا بها ارتحلنـا والهـام باشتياقنا أملنـا

في أسكا

ثم حللنـا أسكـا فرحبـوا بنا وفي ثاني المبيت رغبوا
فشكرت ألسنتنـا احسانهم بطلب اصغـوا لـه آذانهـم
قلنا لهم احسانكم أن تطفئوا نـيران فتنـة بكـم تنطفيء
فقبلوا ثم وفوا ، فغـدروا فهبت الريـح لهـم فنصروا

في المعـدر

ثم الى منبـع عين سرنـا وجنـة تـلألأت في دهرنـا
ومركز السر وخـير الامكنة وزهرة الدنيا بهذى الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد شيخ المشايخ الامام الاوحـد
شيـخ لأهـل راية الصوفية في سوس فاق غيره كيفية
وقـدوة الانام في الارشاد الى طريـق الله والرشـاد
تـاج لأهل الله والعرفـان حجـة من بحضرة الرحمـان
صاحب ذكر السر ليس يلهو عن ذكر مولاه وليس يسهو
فـوحـد الالـه بالعيـان مع الشهود في حلى الاكوان
فصـار يجتنى جنى المعارف وهي تنسى جنـة الزخـارف
وكل من عرف حق المعرفة الاهـه فغيره لـن يعرفـه
اذ ليس موجودا على الطريقة بل انه المعدوم في الحقيقة
ولـو رأيتـه مـع الاكـوان بظاهر فهـو مـع الرحمـان
لأنك الذى رأيت الكـونـا بنفسك التى كستك بـونـا
فالكـل لم يوجد بغير الله ولم يقم الا به يـا ساهي
فـاعتبر الايجـاد والامـدادا من أين كـان ودع العنادا
فهـذه الرتبـة **للخواص** من الخواص فاستمع للقاص
ولم تكن لغير ذى اخـلاص من كان فيالتسليم في الصياصي
وشيخنـا احرز ذا المقـامـا لزهـده وتركـه الانـامـا
قد صار بدء عمره خلف الخمول حتى حوى كل الكمال والوصول
بصحبة الاشياخ أهـل الفن بالصدق والشوق صغير السن

فتارة يأوى الى السواحل ... وتارة يأوى الى المنازل
الى أن انطوت له الاكوان ... وشهدت بقدر الاعيان
فانشرحت به قلوب الخير ... وانقبضت عنه قلوب الشر
ولست تعرف من المشايخ ... الا الذى تدرك فى الرواسخ (١)
هذى جبال متشابهات ... وهم رجال كلهم ذوات
فكيف يعرفهم من لم يرا ... بنظرات صدقه ما استترا
وكل معدن فليس يظهر ... ما لم تكن فى الترب عنه تحفر
الحفر فى السادات بالتصديق ... ان كنت من أيد بالتوفيق
فمذهب الفقر على التصديق ... ومذهب الفقه على التحقيق
فاسرعت لنحوه القصاد ... واذعنت لزهده الزهاد
ووفدت وفود كل من أراد ... أن يعرف الله مريدا أو مراد
فاكتسبوا بالصحبة المراما ... ووصلوا فخالطوا الاناما
فرسخوا لديه فى العرفان ، ... ولم يروا سواه فى الاكوان
قد جمعوا الجذب مع السلوك ... وقد رضوا بمالك الملوك
جسم غفير قد تلمذوا له ... فحاز كل قصده وسؤله
جزاه ربنا عن الانام ... أرشدهم بالحال والكلام
ونصر الدين بقدر الجهد ... بالجد والحزم وفيض الوجد
ولم تكن تأخذه فى الله ... لومة لائم لدى المناهى
سيرته الارشاد والاذكار ... شهد ذاك الليل والنهار
وليس ينظر الى الاولاد ... والاهل والاموال والبلاد
يداوم الاسفار للارشاد ... لكل من لقى فى العباد
الى أن التقى مع الرحمان ... وهو يسبح فى قرى (افران)
تعرفه الايام والاعوام ... بذا كما يعرفه الاقوام
مكتفيا بالله فى الامور ... مجانبا صاحبة الغرور
مقاله يجلو صدى الاغيار ... لما اكتسى من كسوة الانوار
تبدو لنا من فيضه علوم ... تجل أن تصطادها الفهوم
كم عالم جالسه بصدق ... وحسن ظن نحوه والشوق
سمع علما لم يكن بعارفه ... ولم يكن فى كتبه بآلفه
وغيره لم ير الا الزندقة ... متى تشم العنبر الفويسقة
لأن سوء الظن أعظم الحجاب ... كفى الذى ورد فيه من عتاب
صاحبه حاو جميع الشر ... وسد عنه كل باب خير

---

١) أى الجبال .

وقد روى في سائر الصحاح ... اياك منه طالب الفلاح
صاحبه لم ير في الانام ... أخا ولاية على الدوام
فمن رأى صلاحه صباحا ... ففي مسائه يرى الطلاحا
فصار يبرم وينقض على ... كر الزمان عاسفا وسط الفلا
قد جاءه الخطأ من قياس ... أركانه اختلت من الاساس
قد وزنوا بوزنهم فأخطأوا ... ان قياس ذا على ذا خطأ
كيف يقاس حكم روح بالشبح ... فهل تكايل دنان . بقدح
من قاس بالشاهد كل غائب ... فانه يخبط في المذاهب
ثم رمت بهم قذائف الجحود ... حتى رأوا أن لا ولى في الوجود
ومع ذا فكلهم يقول ... الاوليا عددهم منقول
وبعضهم يرون أن قد كثروا ... لكن اذا ذكر فرد انكروا
وليس يصعب سوى التسليم ... لواحد من خلقه معلوم
لكون وصف بشر يقهرهم ... وحسن ظن لم يكن ينصرهم
فكل من لم يكن الصديانا ... لم يك من شرابهم ريانا

* * *

قد كنت في غياهب الغباوة ... على شفا يورثني الشقاوة
وكنت غرثان الى دليل ... يهدى الى معرفة الجليل
يجلو لى القلب لكى أنالا ... في نيل معرفته الكمالا
فيستوى الجلال والجمال ... لدى والنقصان والكمال
وتصبح الافعال والاقوال ... بالله والاوصاف والاحوال
بينا فؤادى نحوه صديان ... والقلب منى واله حيران
اذ قيض الله لنا سعيدا ... هذا وكان المبدىء المعيدا
فكان آخذا بنا لله ... يرقى بنا لحضرة الاله
فكان لى القبلة في الامور ... وردنى عن سائر النفور
بنظرة أولى لديه شهدا ... بذر لكل ما لديه قصدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ ... عنها فقال ليس غير هذى
فهكذا نسمع نظرة الولى ... ترقى الى حضرة ربنا العلى
تركت ما سوى الاله هجرا ... فلهجت نفسى بربى ذكرا
وقبحت عندى ملاح الدنيا ... مما يرى برؤية والرؤيا
وليس لى في غير ذات الله ... قصد ولا مطلوب لى الا هى
فصمت عنى سائر العلائق ... لكونها عن مقصدى عوائقى
بدلت أحوالى بخرق العادة ... لطلب الاخلاص في العبادة
وكان في تخريقى العوائد ... أفضل ما يجنى من الفوائد

ولست تعرف الذى ثم سوى   ان كنت تترك بفعلك السوى
تصير رافضا ومرفوضــا اذا   ما اقرب الاخلاص ممن نبذا
فاختلف الناس فذا يقــول   جن ، فأين القيد والحبول
والبعض قــال انـه مسحور   أين رقى المسحور والبخــور
وعند جل الناس كنت أحمقا   فلم يكن فعلى لديهم منتقى
فكل من جهل شيئا عــاداه   وكل من عرف شيئا ناداه
من بين فرث ودم يسقينا   لبـن معرفتــه يقينــــا
ذاك بفضــل الله لا بغــيره   يوتيــه مـن أراده لخـــيره
ولم يزل بنا عـلى الارشاد   الى وصــول خالـق العباد
فـزال ما بنـــــا من الآلام   ومن عيوب النفس والاسقام
ورجعت أرواحنــا للأصـــــل   مـن التأنس برب الكــــل
ولـذة الحضرة ليست تحكى   بشبـه ولا بفهـم منكــــا
وكل من رام حكايــة يقف   حيران ليس عارفـا كيف يصف
بل الذى يحكى فليس يفلح   أمن حكى ما ليس يدرى مفلح
فهو الذى يوصف بالزنديق   اذ رام كشف السر بالمنطوق
وهو حر بذلك الوصف الزرى   لأنــه حاول هتـك المئـــزر
اذ كـل من ليس من أهـل الفن   كيف يذوق منه طعم المـن
وأهـل ذوقهـا ذوو اشــارة   يكفيهم التلويــح لا العبــارة
فالمطلب الوصــول للحقيقــة   والاكتفـا بالله فى الطريقــة
ولو علمت ما علمت فاتركا   علمـك لله ، اليـه سيركـا
هذا المقام حال أهل المعرفة   طبعا وما أن حاولوا تكلفه
فوصفه ان لم يكن ذو الصدق   محض الجهالة ومحض الخرق
وفى الصحيح حدثن فى العلم   بقدر مـا يـدركه ذو الفهم
فهل تريد أن يكذب الرسول   والله اذ جئت بما فوق العقول
قد قال ذاك خير هذى الامة   من قوله يكشف كل غمــة
لكن ذا الاذواق قد يقــول   بـلا شعور منــه اذ يجول
ان كان فى المجلس أهل المعرفة   ومن تطلب الذى قد عرفه
كـالأم ان آنست الرضيعــا   ترسل والا تمسك الضروعــا
فالمنطوى من المعارف كـــذا   فقد ترى فى الحسن منه محتذى
ذلك من بعض صفات العارفين   الكارعين فى الصفاء الغارفـين
من كان هذا وصفه كيف يقاس   بالفهم والعلم ووزن وقياس
تصفه أنت بوصف الجهــل   وهــو بعلم الله لا بالنقـــل
ففاتك الخـير الـذى لديــه   بما احتويت سرمـدا عليــه

رزقنـا الله سلامـة الصدور ... من كل ما يقطع عن سنى ونور
والصدق والتصديق والظن الحسن ... والختم بالحسنى وكثرة المنن
بجـاه سيد الورى محمـــد ... عين الوجود قطب كل مدد
صلى عليه الله مـا لاح القمر ... والآل والصحب ومومنى البشر
وجاه شيخنا السعيد الاسعد ... فريد عقد الواصلين الاوحد
جزاه ربنـــا الجـزاء الأوفـى ... ازاء خـير المرسلـين الاصفي

* * *

اثنى العنان للذى فيه الكلام ... من المراحل الى خير الانام
بـدار شيخنا نزلنـا ظهـرا ... فانتعش القلب لديـه جهرا
بمعـدر قبيلـة السمـلالـة ... وقـاه ربنـا من الضلالة
ومذ نزلنا فرحت أوطـانـه ... بنـا ورحب بنـا ولدانـــه
وكـثر الفـرح والاحســان ... حسا ومعنى وأضـا الزمـان
فصـادفت نزولنـا الافراح ... والبشر والحبـــور وانشراح
بـولـد الخليفـة المســدد ... للفقراء سيـدى محمـــد
مـدتـه لم يلد الذكورا ، ... فامتلأ الاهـل بـذا سرورا
أنبتـه الله نباتـا حسنـــا ... وليسبلن عليـه منـه مننـا
متبعـــا لسنـــة العدنانـــى ... مجتنبـا طريقـة الشيطان

في ماسة

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ ... حصل بالوداع مثـل النفـخ (١)
منـه لماسة بحصن الساقيـة ... نزل ركبنا بحصن الواقيـة
ماسة موضـع الكمـال طرا ... منبـع أهل الله حقا جهرا
من كــان من أهل القلوب يدرى ... ما قاله من كان حلف خُبر
رأيت فيها مرة اذ سحنـا ... سرا من الاسرار منه بحنـا
وتلك لى الاولى بذاك حنـا ... قلبى لها وحبها قـد سنا
فكم بها من جملة الاحباب ... كلهـم ذوو صفـــا الالبـاب
ان كنت فى مجالس الاذكار ... بهـا ترى نورا على الانـوار
اشعار أمداح الرسول تتـلى ... تزف في كل اللغا وتجـــلى
تراهم من حب سيد الورى ... بين بكاء وهيام فى القـرى
وبـين صائـح وذى اصطلام ... وبـين سالـك من الاقـــوام

---

١) أى النفخ فى الصور

والحب يفعل بأهل الذكر فعل جهنم بأهل الكفر
لكن نار الحب باختيار وبالرضى وتلك باضطرار
من لم يرد ورود نار الحب لابد أن يرد نار الجب
وكل من يومن بالرسول تمسك أيديه عرى القبول
منها اثنتى الفقيه سيدى على (١) كذا أبو سالم (١) الحب العلى
قد حصل الفراق ، والجمان ينثر اذ توادع الاخوان
فرجعوا مع الزمامى (١) أحمد خير نصوح للفتى المسترشد

في المزار من كسيمة

منهه ارتحالنا الى المزار لدى أحبة عزيزى الجار
جيران واد سوس أهل الخير أهل المحبة لنا والغير
ثم حللنا دار سيدى الحسين مقدم لديهم بكل زين
وكلهم لم يدر ماذا يفعل عند نزولنا وماذا يعمل
لفرط ما بهم من الحب لنا فزال ما بنا لديهم من عنا
وأكرموا ثلاثة الايام غاية ما يكون من اكرام
وعندهم رأيت فى المنام بشرى رأيت ملك الاسلام
سلطاننا سيدنا المولى العلى أبا على نجل سيدى على
فى غاية الفرح من منزله مرحبا بنا سواء أهله (٢)
فقال مذ خرجتم فرحت وكل ما اشتهيتم أبحت
وقام فى خدمتنا بنفسه مفضلا بقلبه وحسه
فأولت بمالك الملوك لحبه سلوك ذا السلوك
ومن هنا رجع عنى الشقيق الصنو ابرهيم أفضل رفيق
وهو بأهل الله ذو اعتناء ولطريق القوم ذو اقتناء
ومعه بعض من الاخوان فرجع الكل الى البلدان
فرجعوا بمركب البغال كانت لنا حاملة الاثقال
ثم الى الصويرة الكراء حمارة وناقة حمراء

قطع وادي سوس

ثم ثلاثا صد وادى سوس تبا له من معبر ذى بؤس
اياك أن يسل فلا تعبر به كى لا تكون راسبا فى قلبه

---

١) تراجم هؤلاء فى (المعسول)
٢) أى وسط أهله

ولم يكن يهلك بالوديان ... الا المجربون بالطغيان

ليس له في سائر الوديان ... مشابه ان جاش بالطوفان

« ثلاثة ليس لها أمان ... البحر والسلطان والزمان »

ومعنا في قطعه أحباب ... لولاهم تقطعت أسباب

أنا على البغلة وهي تقطف ... وكل من معي اليها يعطف

والصنو عبد الله كان راكبا ... فرس بعضهم فكان جانبا

لانه وأربعا من فقرا ... قد أزمعوا أن يقصدوا أم القرى

فتعب الكل بهذا القطع ... وبعضهم أشفى به للنزع

وقعل واد ليس فعل نحو ... ان كنت ذا عقل وحلف صحو

يعمل في معموله بسيله ... الخفض فالنصب فرفع رجله

وكل ذي عقل وخدن حزم ... فلا يطالب قطعه بعوم

فليقطع البر لرأس الوادي ... محاذي الضفاف في البوادي

فهو يرى جميع ما كان يشا ... من فجره الى حنادس العشا

من ملبس ومفرش ومشرب ... ومأكل وكل خير يجتبى

لأن ما في ذاك من عمارة ... أضفت على السكان حسن الشارة(١)

ومن ردانة لفوق سيرى ... كل الاماني لديه في القرى

الا الامان انه مكفون ... بسبعة لديهم مدفون

ولا يجوز نبشه من قبره ... قد ايقنوا العرف عظيم نكره

ولم يخلف وارثا فاشتغلوا ... بنقض عهد الله فيما عملوا

هواهم هوى بهم في المهوى ... اسرع بهلك من اليهم أهوى

والحكم للغالب لا للنادر ... بلادهم تعمر بالبنادر

أما الصلاة فمن الرجال ... قليلة فكيف بالعيال

واديهم يذهب بالابدان ... وجهلهم يذهب بالاديان

فارتكب الاخف من ضرين ... فالويل أفضل من الويلين

وبعد قطعنا شكرنا شكرا ... في حصن منكب صلينا الظهرا

في اكادير ثم اورير

وكلنا زار ضريح سيدي ... أبي القناديل بشوق جيد

وسره ظهر ، ثم رحنا ... الى الذي له الفؤاد حنا

أعز أحبابي بأورير قطن ... أفضل بالترحيب ثم بالمنن

١) الشارة : أي الهيأة .

في ايت تامر بحاحة

من عنده لآخرين أيضا   قد حققوا النفل لهم والفرضا

بوادى أيتمر قديما كانوا   موضع أهل الله حيث بانوا

ان جئت للرجال والنساء   تراهم الولوع بالصفاء

ومثلهم فى حاحة قليل   والزهد وصف منهم جليل

سحنا قبيل مرة فبتنا   فاقبلت امرأة سرتنا

واخبرت بأنها فى النوم   قبل مجيئنا بذاك اليوم

قد شاهدت ابليس هاربا الى   بحر بقربهم بصوت اعتلى

وليس علم عندهم بنا الى   دخولنا قبل الغروب للملا

فاعلنوا لنا وقد استبشروا   ان قبل فى الصباح جا المبشر

وهكذا الرؤيا تجيء فينة   كالبرق من قبل انصباب المزنة

في تمانار

ثم الى المحجوب من عمال   حاحة وهو من ذوى افضال

مرامنا البيع لبغلة لنا   عل بنقده تلم شملنا

ومثلها يحبها العمال   وعندهم قد توجد الاموال

قبل غروب الشمس قد طلعنا   لكن من الدخول قد منعنا

وشددت حجابه علينا   وسددت رماحهم الينا

فأبوا التقريب والترحيبا   وآثروا الاقصاء والتأنيبا

طال بنا الوقوف ثم ملنا   الى الجدار ثمت احتللنا

ونحن كل ذاك بالافراح   من ربنا الفاعل وانشراح

وكان عنده كثير فقها   عرفني من بعضهم ذوو النهى

لم يدر ما يفعل وهو ضيف   ونحن بالزاد وهذا صيف

لموضع فى خارج قد ملنا   مع جميع الفقها وقلنا

شيئا من الوعظ لهم فأذنا   أذان مغرب فقالوا أمنا

بعد الصلاة نظروا ما يعمل   من حيلة يجنى بها ما يؤمل

لكى نبيت أحسن البيات   مع جميع الفقها السادات

فقيل لى سلم عليه حينما   يريد أن يدخل كيما يعلما

لأنه فى خارج بمعزل   عنا لدى الصلاة قرب المنزل

فقام للدخول بعد المغرب   والناس منه فى هوى ومرهب

وليس يجترى عليه أحد   كأنما يخطر منه أسد

حاجبه يقوم ليس يجلس   يلازم العبوس ليس ينبس

يرعى لــــه بطرفـه الخواطر   وكيف ان أشار بالظـواهر
وكل من كان بتلك الحضرة   قلبــــه مـلآن بتلك الخمرة
فحــد آدابهـم الظـواهر   وفــي بواطنهم المنـاكـر
فقمت أمشي فتلاقيت معــه   مسلما فلم يرد أن يسمعــه
فـدخـل الـدار بغـير رد ـ   سلام من سلم بـل بصـد
فدخـل الكـل ونحن كنـــا   تحت الجدار ما رأينا الكنـا
الى ورا العشا وقـد نعسنا   تحت الجـدار وبـه أنسنـا
جـاء البنـا حاجب محجوبه   وافق حقا اسمـه محجوبـه
اتفقْ اللفظ مع المعنى كمـا   ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال قـم فسيدى يدعوكـا   لا كـان من يا سيدى يجفوكـا
وذاك انه جرى فى النادى   وهـم يجولـون بكـل وادى
ان قال بعض الفقها أتى هنا   فلان ممن فضلهم مثل السنا
بالعلم والصـلاح والخيرات   ووعظـــه يطير بالمهجـــات
فاستسمنـوا بظنهـم ذا ورم   ونفخوا وهمـــا بغـير ضرم
فحسن الوصف باذن العامل   فاشتاق أن ينال خير نائل
فقال للحاجب قم وائت به   لنستفيـد من سنا مطلبــه
فقمت فى الحين بقصـد الوعـظ   لـه بحـالى أولا واللفـــظ
وجدتهـم فى قبـة مصنوعة   بزينة وفرش مرفـــوعــة
واذ رآنى زال عـن منصته   يشير للجلوس فى أريكتـه
مرحبـــا بقلبـه وقـالبـــه   وقال كل مرحبا اذ قال به
فهــو كقلبا وهـم كـالجسد   مبتــدرون ان أشار باليــد
فقلت اذ رأيتــه قد أقبـلا   وكان للنصح له مستقبـــلا
ليس سبيل للكلام غير ان   رأيت نفسك بنصحنا فمـن
فقال لى أهـلا بنصـح الله   جازاك عن نصحك لى الهى
فقلت للحاضر مـن رعيتـــه   ومن بناديه من أهل طاعته
هــل أنتـــم تأتمرون طرا   نهيـا اذا نهاكـم أو أمرا
فقـال كلهم أنحن نهمـــل   منـه الاوامر فحينـاً نقيـل
فقلت ان أمر بالخمس لكم   هل تتركون فى الوقوت شغلكم
فابتـدروا بقولهم لو أمرا   بالعشر اديت بـوقت لامرا
فقلت للقائد ها أنت ترى   من الذنوب ما عليك فى الورى
فكل من ترك فى حكومتك   أى صلاة فهى فى رقبتــك
فى سائر البلدان اذ حكمتنا   عليهــم جهلت أم علمتـــا
ضيعت دين الله فى أحكامكا   وهى عظيم ذاك فى اسلامكا
ان الفريضـة عمـود الدين   كما روى عن النبى الامين

فقد رأيت من بحول داركا … تركها بلـه أخا جـواركـا
أحسن كـونـك عـامـلا ولا … تجعل فى الصلاة ذاك العملا
بالوعظ والضرب وقتل الحد … وذاك فى الدين تمام الجـد
أنت خليفـة الامـام الاكبـر … فأنت بالتنكيل فى ذاك حرى
فارسل الرسول للمـؤذن … فجاءه فى الحـين فورا لم ين
فقال من لم يرد الصـلاة … اعلم به فلن يرى النجاة
من ضربنا وحبسنا وكـل ما … يرده لهـا الى أن ينعمـا
فقلت تبنى مسجدا فى الداخـل … تجمع فيه مع كل داخـل
فقال قـد وعدت بالبنـاء … له بـذا العـام بـلا مراء
ففرح المجلس والاسمـاع … وفى الصباح حصل الـوداع
ولم تبـع بغلتنـا ورحنـا … لآخر بالمسجد استرحنـا

في محطة آخر

فارسل الاكـرام ذا تمـام … حتى تمتعنـا بـذا الاكـرام
لكونـه عرفنـا مـن قبـل … فكـان وجهـه لنـا والميـل
وكـان كاتبـه مـن اخوانى … كـذا امام مكتب القـرآن
لذاك قد نزلت فى مسجده … لعلنـى أرد مـن مـورده

في دار القائد الحسن النكنافي

ثـم هنـا لآخر أخينـا … فى صحبة صحت ولـن تبينا
مرحبـا غاية مـا ترحيب … ومفضـلا بنعـم وطيب
وتـلـك شنشنتـه للكـل … عادة أهل المجد أهل الفضل
أبـى عـلى قائد النكنافـة … فالبشر منه الخلق واللطـافة
سياسة حسنـة وطبـع … طابت بـه أصولـه والفرع
قد كنت قبل ذا بشهر رحنا … لديـه بالاخوان حين سحنـا
فكـان أن وصيت عن بنـاء … مسجده فى الـدار باعتنـاء
فـالآن قـد وجدتـه مكمـلا … فكـان أن صليت فيـه أولا
فى اليوم الاول لنا برمضان … وهو كما رووه أفضل مكان
فكـان دائمـا بـه يصـلى … هو ومن معه وكل الاهل
وهكـذا فلتكـن العمـال … أولا ، فهم على الورى وبال
أكرمـه الله بحبنـا الصفـى … الاخ عبد الله خلنا الـوفى
الاخ فى الشيخ بذى الطريقة … شارب صرف الراح فى الحقيقة
مستغرقا فى حضرة الرحمان … وكـارعـا فى سنة العدنـان

مستسلما لله في الامور ... وهو ازاء الاقدار في سرور
بنظرة من شيخنا سعيد ... حصل منه الجذب للوجيد .
غلب جذبه عليه دهرا ... بحضرة الشيخ فباح جهرا
فلم يفارقه الى أن استوى ... بصحوه ومن سلوك ارتوى
يراجع الشيخ بحال الجذب ... يريد مشيا فأباه ربي
والشيخ قال له ان قدرتا ... فاذهب ولن تقدر ما استدرتا
فقال بعد كلما رمت الذهاب ... يأبى الفؤاد في الحشا سوى الاياب
وكان يخرق العوائد على ... ما يأمر الشيخ به بين الملا
وأمر الاشياخ بخرق العادة ... سلمه فهو الطب فوق عادة
ما زال ذا السيد في ذاك الى ... أن زال جذبه فنال الامـلا
فرجع الجذب الى باطنه ... لكنه ينفك من آجنه
والصحو في الظاهر ذو اشراق ... يشع بالالطاف والاخلاق
لكنه يغلب في أحيان ... فيستجيش جذبه الرباني
فكل ما سكن في الجوانح ... يبدو على ظواهر الجوارح
وكل من ليس عليه يبدو ... حال فليس له منه زند
فباع صاحب لنا لديه ... بغلته بنقد بيع مشهي

في الصويرة

ثم ارتحلنا بعد للصويرة ... ونحن في الصوم وفي الهجيرة
نزولنا فيها لدى أجلة ... أحبة أعزة أهلة
رباطهم أحسن به مكانا ... يملأ أذكنا به اخوانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا ... ان كنت ناجيت به الرحمانا
مع الذين فيه من كرام ... يجنون ما يراد من مرام
وكان قطب جمعهم لله ... من فكره دوما على انتباه
خديم أهل الله حيث كانوا ، ... محب أهل الخير حيث بانوا
سواد عين مقلة الاحباب ... ومنه نور مهج الالباب
أخلاقه علت به ذرى العلا ... وووليت منه المكام ولا
أفضى به عند اللقاء الفرج ... حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
يتابع الانعام والمؤونة ... مدتنا هناك والمعونة
وأهل داره على الدوام ... بزادنا اشتغلن مذ أيام
وهو بما احتجناه من حوائجا ... يظل منها داخلا وخارجا
وقف في ذاك وقوفا لايقف ... أمثاله ألف لصاحب ألف
اعني أخا الكمال سيدي عمر ... أماه' مشهورا بذاك كالقمر

وهو الموقت على الصويرة ... الطيب السمعة والسريرة
وكان لى أخ حبيب بر ... أيضا له من الصفاء قدر
منقطع لله بعد الاشتغال ... في البيع والشراء فى تشنيت بال
وكان عنده من الدراهم ... ما ليس يحصيه أخو المفاهم
فزويت عنه بفضل الله ... لحبه الرسول لا المناهي
فجمع الله له تشتيتا ... فلا يرى فى قلبه تنكيتا
فيحمد الله لذا ويشكر ... على الرضى به وليس يكفر
ومثلا جرى مدى أزمان ... سرت به طوائف الركبان
بالامتحان تعرف الرجالا ... والطرف لايعرف أو يجالا (١)
وان هذا لمن الرجال ... لصدقه فى القول والافعال
رأيته مختبرا بالسجن ... وكانت الدنيا عليه تجنى
فلم يزعزع عن مقام الصدق ... فى جانب الله بقدر الطوق
فبان أن محبة الرحمان ... كسته فى الاسرار والاعلان
اعنى به سيدنا المختارا ... من كان عند ربه مختارا
وله صهر اسمه التهامي ... مفترع الذروة والسنام
مدير كأس خمرة السماع ... من عدة الفنون والانواع
يطرب من بحضرة الاذكار ... بنغمة كرنة الاوتار
ان ذاقت القلوب والاسماع ... كأس سماع رقت الطباع
وكلهم يلهج بالمذاكرة ... فى كل ليل ان جرت مسامرة
فطابت الاقوات والاوقات ... بنفحة تحيا بها الاموات
وفى الصويرة رأيت الدينا ... كنزا دراه أهلها ثمينا

محاورة حول التصوف

وقد رأيت عالما فى الظاهر ... بها وفى الباطن غير ماهر
قد زرته فى بيته فى السوق ... زيارة الطارق لا المشوق
وباع لى ميارة الكبيرا ... أكون من صحبته خبيرا
فصار يغمز طريق القوم ... يقول : هار أسئكم فى اليوم
فكان يعقد لنا مناظرة ... معه ولكن يعلن المكابرة
فقال اظهاركم السبحة فى ... أعناقكم ليس بفعل السلف
اخفاؤها أقرب للاخلاص ... ان الرياء طرق المعاصى
أليس مرويا عن العدنانى ... بكل رأو ثقة ربانى

١) الطرف بالكسر : الفرس الكريمة ، وأو بمعنى الى

ان الخمول كله لنعمة … ان الظهور كله لنقمة (١)
تركتم السنة ثم ملتم … لبدع قبيس ما فعلتم
وصار ينسج على المنوال … لكونه المدره في الاقوال (٢)
فصار يخبط كخبط العشوا … عاسفة تقطع ليلا دوا (٣)
فتارة يكون في المناقضة … يأتي بشيء وبضد عارضه
وتارة يهذى وليس يدرى … أكان في بر مشى أم بحر
حتى تراه مادحا للقوم … مدحا جلاه في صفات الذم
وقصده اظهاره العلوما … وانه قد منح الفهوما
وكل ما يذكر من وفاق … لسنة أولا فمن نفاق
وكنت لا أرد من كلامه … شيئا لما شاهدت من مرامه
الى أن استوعب ما يروم … وهو على تظاهر يحوم
فقلت ما ذكرت من خمول … فهو لديهم سبب الوصول
وكل من يراهم يقول … كذا كذا فليكن الخمول
وانهم أدرى بسره الذى … ذاقه من طريقهم من يحتذى
وهو لديهم عدم التخصيص … بينهم بالسر لا التنقيص
وهم يراعون من الخمول … كالملح للطعام في المثيل
فهم ذووا القسطاس في الاشياء … كما يكون الطب بالدواء
فكم خمول يكرهون وصفه … وكم ظهور يحمدون قطفه
وانما الاعمال بالنيات … والطب بالمزاج لا الذوات
وقلت أيضا له ما ذكرتا … من سنة بين الذى انكرتا
قد كان انكره عز الدين … قبل التقاء الشاذلي الامين
وبعدما أخذ عنه قالا … مقالة ما غادرت مقالا
مؤيدا بحلفه اليمين … حين احتسى الخمرة باليمين
والله ما قعد بالصدق على … قواعد السنة في الذى انجلا
سوى الذين انتجعوا التصوفا … واقحموا انفسهم بحر الصفا
وتركوا الدنيا وأهلها معا … ولم يروا للنفس فيها مرتعا
قلت ألا أنظر يا أخا الافهام … من عرف الحق من الاوهام
امعن في مقاصد القوم الى … أن أدرك الاصل الاصيل في الملأ
وعرف اللب الذى ترتاد … أزهاره الصوفية الرواد
فقال ما قال ولم يكن له … جهل بمقصودهم اعمله
لم تكن السبح في الاعناق … ولا المرقعات في الاطواق

---

١) هذا ليس بحديث ، قاله المختار .
٢) المدره : العظيم .
٣) الدو : الفلاة والبرية .

ولا العكاكيز على الاكف ... هى المقاصد بغير خلف
بل المقاصد صفاء القلب ... من كل بغضاء وكل حب
الا لما يبغضه القرآن ... أو للذى يحبه الرحمن
يصفو المريد من عيوب نفسه ... وتنجلى عنه عيوب حسه
حتى يوافق هواء الشرعا ... فى كل ما يذره أو يرعى
فأى بدعة رأيتم عند من ... يزهد والسنة بالزهد فمن
فذلك الزهد لدى الصوفية ... قطب الرحى والرتبة السنية
وكل ما عدا فانه لما ... ذكرته وسيلة فلتفهما
ومن يكن يعلم ليس يجهل ... ما كانت الاصحاب قبل تعمل
فيجد المنكر ذا من السبح ... لها أصولا عند كل من صلح
وان للقوم اصطلاحا مثل ما ... لكم أيضا يا جميع العلما
فلتفهموا اصطلاحهم ان شئتم ... ابصارهم ، أولا : فقد عشيتم
لكنكم لاتنصفون القوما ... بل توسعون القوم دوما ظلما
بحقكم من منكم فى السنة ... قولوا بحق وانهضوا بالحجة
أسنة الرسول حب العاجلة ... أم تركها ورا ، وحب الاجلة
فنحن بالسنة منهما عسى ... فور ونترك سواها هملا
ليس لنا القصد سوى الاذعان ... لله والرسول بالاعلان
بحق من خلق كن مجيبى ... فربنا يسمع من قريب
فقال سنته حب الآجلة ... والبدعة الكبرى بحب العاجلة
فقلت بالله عليك أينا ... أبدع أو سنن قل مبينا
فكف اذا عاين نفسه على ... أفضح بدعة بدت بين الملا
لأنه أخذها براسها ... ورجلها وركنها وأسها
وقبل اليد لها وعظما ... وقلبه لحبها قد سلما
فقال هذا مرض القلوب ... أهلكنا بثقل الذنوب
فقلت فانتصر برب العاجلة ... ليس الدوا الا فى الاضطرار له
فهاكذا استدارت المحاورة ... والقصد أن تشفيه المناظرة
لأن بعض المنكرين ينكر ... عن حسن قصد غره ما ينظر
فربما يرجع ان بين له ... ما قصد الصوفى فيما عمله

إلى ركوب السفينة

ثم لبثنا خمسة وعشرة ... لدى الصويرة بطيب عشرة
ولم نزل مدتنا المختارة ... منتظرى سفينة التجارة
تأتى لقصد سعة المبرة ... فى الدين والدنيا بلا معرة

لأن مـا يركبهـا الحجاج تضيق حتى يكثر اللجاج
ثم أتت فسار سيد الى وكيلها مرغبـا أن يقبـلا

بين الاديان

فقال لى وكيلها النصرانى تركبها أنت بـلا أثمـان
غيرك بالخمسة من ريـال لطنجة وذ بـلا مقـال
فقلت للخمسة من أصحابى نقسم ما ترك كـالاحباب
فرجعت بذا الى أربعـة مـع سدس لواحد فى العدة
لم يفعل الوكيل ما قد فعلـه لله بـل ألهنا من عملـه
لأنـه بمعزل عن معرفـة لله بل كان أسير المتلفة
من أين يدخل فليس باب لـه فقد تراكم الحجـاب
أهل الكتاب كلهم قد أدعوا معرفة الله ونحوها سعوا
وليس عندهم سوى الجهل على حقيقة والكفر جهل اسبلا
فكل من لم يعرف الرسولا لم يعرف الله ولا السبيلا
وكـان عـارف رسول الله يعرف ربـه بـلا اشتباه
لو كان هـذا الدين بالعقول فقط لما رأيت من جهول
لكنما العقول فى احتيـاج الى الذى يقود فى الفجاج
والقائدون فى فجاج الدين رسل الاله بالسنا المبـين
وكلهم فـى دينهم سواء وان تباينت لهـم أشياء
فالقطب لا يختلفون فيـه معرفة الله بـلا شبيـه
ثم أتى التغيير فى الاديان تدرجا من غلط الرهبـان
ومن جهالة من الاحبـار فاتبعوا الاعيان بالآثـار
من بدع ابتدعت فى الدين قد رفعت كالبند باليمين
فغمرت ما كان أصل الدين غمر سيول النهر للعيون
فعاد أصحاب الكتاب اكفرا من المجوس لدعاو تفترى
لكنمـا الرحمن كل حـين يجـدد الاديـان بالمبـين
فكلما انخرم ديـن جيـل أتى بتـوراة أو الانجيـل
حتى اذا أفسد أيضا ذان أتى بسيد الورى العدنانى
فارسـل القرآن ثم حفظه من أن يغير بلفظ اللفظه
فكـان مـذ مجيئه منفردا بالحق وحده وغـيره سدى
فكان من فارقه لم يدر كيف يرى الخلاص يوم الحشر
وكيف يخلص اذا توجهـا بعمل لوجهـة قصـدها
والدين والاخلاص والايمـان والعمل الصالح والايقان

يحرمها في اليوم من لا يتبع ... كلام هذا الدين أو لا يستمع
فكم وكم من زاعم تدينا ... وهو يقول في الملأ أنا أنا
يجهل بعد ربه الذى خلق ... عظامه ولحمه من العلق
يجعل لله شبيها بعد ... سبحانه سبحانه لا ند
لذاك يحشر جميع الخلق ... بقدر معرفتهم للحق
فالكل بالقدر الذى قد عرفه ... به غدا يعرف رب عرفه
لذا ترى الاصحاب فوق الكل ... لما لهم من علم خير الرسل
ثم الذى يليهم في العلم ... بعد يفوق غيره في القوم
ويعرف القوم على الاطلاق ... حقه في معرفة الخلاق
وارتعدت فرائص الاقوام ... لارثهم من سيد الانام
هو الرئيس باطنا وظاهرا ... ويح الذى يرى لهذا ناكرا
وكل من أحب رسل الله ... فمجتبى بنظرة الاله
لذا الذى ترى يؤم الحجا ... يختار اذ يقطع فجا فجا
وهو من الاشواق في بكاء ... من حبه لخير الانبياء
وحبه آية حب الله ... كما أتى ان لم تكن بساهي
ومن علامة محبة الرسول ... حبك ما مر عليه من سبيل
وحبك الدار التى سكنها ... ثم المدينة التى قطنها
وذلك الفج الذى قد سلكه ... في يوم حجه الذى قد أدركه
ألم يكن ذلك حال صحبه ... في السلم ان لاقوه أو في حربه
يفدونه في الحرب بالنفوس ... وبظهورهم وبالرؤوس
وان أتى يوم السلام مقبلا ... طار اليه بالتشوق الملا
وكل من سمع كان يهرع ... تبركا به اليه يسرع
فبعضهم مقبل يديه ... وبعضهم مقبل رجليه
وذاك من محبة الرحمان ... وقد بدا في عبده العدناني
وكل ذا وانهم يعتقدون ... فيه العبودية ليسوا يعبدون
فأين ذا مما يرى النصارى ... في ابن التى قد سادت العذارى
فالحمد لله على الاسلام ... وكل ما فيه من الاحكام
اذ كان في الاديان دينا وسطا ... مسددا لاهله كل الخطا

تدين السوسيين

ولبني سوس من المغاربة ... جد علوا في الدين منه غاربه
وأهل ولتيت عليه جبلوا ... من ضمهم سهولهم والجبل
فاقوا بذاك كل أهل سوس ... طرا وأين الرجل من رؤوس

فاقوا برغبة لدى التدين — والزهد في الاكثار والتزين
وبحياء في النساء لا يزول — ورثه فروعهم عن الاصول
وعفة ورأفة ونية — وهمة كهمة الصوفية
وقلة من الحطام الفاني — وكثرة الخوف من الديان
فهذه الخصال قد فازت بها — ولتيتة في كل آل شعبها
ثم بهم يمتد ظل الدين — في كل ما يلي من القطين
جميع من بحوزهم قد وصفوا — بوصفهم وبهم قد شرفوا
يقر جيرانهم بذاكا — اذ أدركوا من يمنهم ادراكا
وذاك ظاهر وقد تبينا — والصبح لا يحتاج أن يبينا
ذاك ومن كانوا جوار سوس — أفضل في الاركان والاسوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك — جيرانهم أيضاً فحقق ما هناك
جيران أهل سوس في الحدود — فاقوا جميع الغرب بالشهود
فجل تر الاسواق والمداشرا — فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
من كان في مخدع أمه جهل — كل الذي بدارها لم يتصل
وذاك جهل منكر خصوصا — ان كان عن ذي قدوة منصوصا

تدين المغاربة بالاجمال

ثمت أهل المغرب الاقصى هم — في الدين بين غيرهم تقدموا
جميع ما في الشرق اما قيسا — بهم يقال بيس بيس بيسا
فبدونا أعرف بالاديان — من بدوهم للحفظ للقرآن
وذاك كله شهير يذكر — في كل مجلس تراه يؤثر
وقد رأيت ذلكم عيانا — ثم اختبرت أمره أزمانا
وذاك كله بنسبة القرى — فيالشرق والمغرب منغير افترا
أما المدائن فقد كفى الورى — فيالمدن امتى وبعض فيالقرى
يأثره بعض الرواة خبرا — عن الرسول أو رووه أثرا
فذاك من معجزة الرسول — ان صح عنه رفع ذا المقول
لانه قد قاله من قبل ان — يكون للامة في المدن السكن

* * *

تبرك الناس بالحجاج

رجع بنا فقد أطيل القول — وقد يطول ما مددت ، الحبل
وقد ذكرنا كيف الاكتراء — وقدر ما كان به الكراء

ثمت ودعنا هناك الصحبا ... كلهم مستصحبين الربا
وكل من نلقاه في السبيل ... يزور منا زائرى الرسول
تبركا بالنية المستصحبة ... والكل قد أعلى بشوق منحبه
والدين مهما خالط القلوبــا ... فجر من شغافهـا سيوبا (١)
وكل قلب لا يلين بالوداع ... حتى يهم بالضلوع بانصداع
فليس بالممكن بعد أن يلين ... بل هوكالصفحة فيالطودالرصين
حسد التبرك بنا ومثل ما ... ذكرته من الغليل والظما
ومـن تشوق ومـن عويل ... عند مرور زائر الرسول
سيف الصويرة فمن هناكا ... غادرتذاك الصيد والشباكا(٢)

استمنـاح الحجاج

ثـم أتى دور المحاسبـات ... وقول هاك في العطا وهات
وليس بعد لك من مصحوب ... الا الذى خبأت في الجيوب
فكل من تلقاه فهو طامـع ... منك اذا ساهلت أو منازع
فأنت من يزور بالدراهـم ... لكي ترى خير فتى مساهم
لان ما منحته اليوم غـدا ... مدخر لـك ستلقاه غـدا
فمن تكون له هذى النية ... فلا يسمى ذاك بالرزيـة
لان كـل من درى ممن ترى ... انك حاج قال بالطبع (أرَى) ٣
وعيشهم من ذاك لا غير فهل ... يلومهم سوى الذى كان جهل
لاسيما أهـل الحجاز الضعفا ... فلهم حـق تطلب الوفـا
لأنهم جيران سيد الورى ، ... قد صابروا اللأواء فيأم القرى
لولاهم وصبرهم لمـا غـدا ... ذاك الحجاز مع فقر منتدى (٤)
فصحح النيـة في العطـاء ... ان شئت أن تفوز بالجزاء
أولا فلابد من المنح ، وان ... كرهت أوغضبت من لكم ومن
فكل من لـه يقينـا علم ... انك حاج لـه منك سهم
يسدد السهم لكي يحـوزا ... من حظه عندك لن يجوزا
لعلمهم بـأن رب الحـــج ... يصحب مالا قبل قطـع الموج
وانه لو لم يكن غنيـــا ... في قطره أو لم يكن سريا
مـا جاء في الفجاج والبحـور ... بثمن غـال مـدى الشهور
فكـل من لقيتـــه يلـين ... كـــلامـه وحبه يبيـــن

١) الشغاف بالفتح : غلاف القلب • حبتــه والسيوب : السيول •
٢) سيف البحر بالكسر : ساحله ٣) أرَى : باالشلحة : أعطنى •
٤) أى منتدى مقصودا •

فاعلم بأنــه حلف نــاب ... يظهره ان أنت منحا آبى
وجلهــم فــى ذلكــم سواء ... وقصدهم جميعــه العطاء
من لم يرده منك ليس يجلس ... اليك ساعة وليس يونس
وذاك فى غير الحجاز أيضا ... كأنما كــل الانام فوضى
رأيت ذا فى سائر البلدان ... نزلتهــا طرا بلا نكــران
وليس فــى جميعها أنيس ... الا دراهم حواهــا الكيس
لكنما الانفاق بالاجمــال ... للسفر من محاسن الاحوال
لانــه يجعلهم فى الراحــة ... فهكذا الراحة بنت الراحة (١)
أحسن بــه فى طاعة الله ... أقبــح به فى سخط الله
هـــذا وان عادة الاسفار ... تراكم الاشغال والاغيــار
من لم تكن تعرفـــه لله ... فهو بأشغاله عنك ساهى
بـــل الالى تعرفهـــم لله ... قد يختفون عنك باشتباه

نفقتهــم

انفق كل واحد من صحبى ... عشر ريالات لنيل نحب (٢)
وللكــراء ولشــد حُزمَ ... من المتــاع ولنقل فاعلــم (٣)

في السفينة ووصفها

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعة ... سفينــة طويلة موسعــة
فقلت باسم ربنا مجراهــا ... فى بحرها وباسمه مرساها
وحين أجريت العيون حولها ... ولوحها وطُولها وطَولها
وشمت مالها مــن الكيفية ... وحركــات سيرها الخفيــة
وجدتها أكبر مــا بظنى ... حين استبنت سرها بعينى
ان يبد من أوصافها لسانى ... فليست الاخبار كــالعيان
فذرعها كمائــة فى الطول ... مع الثلاثين عــلى المنقول
وعرضها حقا بخمس عشرة ... من أذرع ان لم تفقها كثرة
فيها ثــلاث طبقات تسع ... ألفين أو أزيد بل لا تشبع
سارت بنا فى وسط النهار ... بلا اهتزاز السفن الجــوارى
وغــير دوخـــة ولا فتور ... كــأنما نجلس فى السرير
وجدت فيها صحة فى البدن ... أكثر مــا أكون بين المدن

---

١) الراحة الثانية بمعنى الكف ٠

٢) النحب : الوطر والحاجة ٠ ... ٣) الحزم بضمتين : جمع حزام ٠

لأنني وافقني هـــواؤها ... وجوهـا وأكلها وماؤهـا
فصرت آكل جميع ما أشا ... بشهوة قد وافقت ما في الحشا
وكان هذا الوقت وقت صيف ... والسير في اليوم كمر الطيف
ونجمع الصلاة في الجماعة ... مع القيام ان تحل الساعة
مع الوضوء دائما وكل ذا : ... من فضل ربنا الذى نفى الاذى
لان همى كله في السفر ... حفظ الديانات لنيل الظفر
فجاء ذا والحمد لله كما ... أحب كـل سفر متممـا

حـذاء أسفي

فوصل الظهر بمرسى أسفي ... والبحر رهو لانرى من خوف
وذلك الفلك كان لم يسر ... ونحن في الحضر لا في السفر
جزنا مدى يومين في الصباح ... واننا في الانس وانشراح
كأننا مـــا زايلت أعيننا ... مرسى الصويرة المتين الاحسنا
أليس ذا في البحر والسفين ... ممـــا يقوى صحة اليقين
فيوقن المومن من رب الورى ... مقدرة مطلقة مـن العرى
فكـل مـا يريـده يكـون ... ويستبـين سره المصـون
أمر نوحا فبنى السفينـة ... كأنهـا في بحرها مدينة
فـاقبلت وأدبرت فبانـا ... من قـدرة الخلاق ما استبانـا
فمخرت فوق البحار الطامية ... كريشة فوق المياه طافيـة
لكنهـا محفوفة بالقدرة ... تقهر من موج البحار غمره
تقطع في الساعة ما لايقطع ... يومين بالرجل اذا ما يسرع
سبحانك اللهم مـا أجلكا ... هل مدرك حول سواك حولكا
مرتي لآل عبدة والشظما ... وآل حمر ما رأينا اليوما
لأن أسفـــى بنيت بينهم ... فانهـــم جيرانها انهـــم
ونحـن فـوق ثبج البحار ... نلحظها بشاخص الابصار
ومن وراء العشاء والعشاء ... طار بنا الفلك على الدأماء
تحسبه فحلا لدى العشار ... ان تابع الشقاشق الجوارى
والموج من أمام أوخلف كما ... ينتشر السحب بريح في السما
منتظم عند التطامها السوى ... عند الربى وسط بسيط مستوى
هذا ونحن قائمون في مهـاد ... بفرش وثـــيرة وبوساد
ولم نكن نشعر بالسير الى ... أن طلع النور علينا وعلا

ازاء الجديدة

اذا مدينة الجديدة التي — تعرف عند البعض بالبريجة
كأنها خريدة تزينت — بحليها ووشيها ثم دنت
جديدة لانها لم تبطي — أصمى بها الكفار من لم يخط
قد سميت بريجة لانها — ذات بريج حارس سكنها
كانت لجنس البرد قيز قبل — تنزلها قوته والحول
والارض من دكالة الفيحاء — لكنه قد كاد بالضراء
نزلها بالكيد في سنينا — كثيرة يسكنها مكينا
وهو الذى أسسها وشادا — من سورها الاركان والعمادا
وشيد المرسى بها تشييدا — وطدها كما يشا توطيدا
حتى اذا تمت له الآجال — دب له في المغرب الرجال
فأخرجوه مرغما بالقوة — وبالشجاعة وبالفتوة
فرد كيده بوسط نحره — فغادر التنين وسط جحره
فتلكم مدينة الجديدة — مشكورة ممدوحة محمودة
قد أسست أسسها على التقى — من بعد أن كانت لاصحاب الشقا
وقف فيها الفلك للزوال — ينزل أو يرفع بالتوالي

في مقابلة البيضاء

ثمت أقلع فهب جاريا — مقاربا للبر بل محاذيا
وجانبا للموج مثل الجبل — فحل بالبيضاء عند الطفل (١)
وهذه مدينة للشاوية — سكانها ممسية وغادية
ولم تكن قديمة ولكن — كانت بها من قدم مساكن
ثم أدير السور حولها كما — يبصر منه من اليها قدما
كانت تسمى قبل ذا بأنفا — وبعد بالبيضاء للدار وصفا (٢)
فغلب الوصف عليها وبها — تعرف عند عجمها وعربها

في مجاورة الرباط وسلا

في آخر الليل جرى مركبنا — مدلجا والليل لا يرهبنا
ثم بدا الرباط في جنب سلا — كدرتين في جبين يجتلى
بينهما نهر كما التنين — يسع ما يلج من سفين

---

١) الطفل محركا : العشي ٠
٢) ورد في المسالك للبكري اسم البيضاء لمكان يقارب هذا المحل

وكثرة الزوارق العوامة   على اشتغال أهلها علامة
فبعضها يفرغ ما في السفن   وبعضها نزه من في المدن
لكنها ان وجت في البحر   تعلو وتسفل كمن في السكر
وذاك من شدة ما تراه   من موجها ان جاشت المياه
ظاهرة صعوبة في البحر   هناك دائما ممر الدهر
ان الرباط مبدأ الغرب كما   هو لحوز منتهى فلتعلما
ثم أتى ركب من الحجاج   قد خلصوا ليسوا من الامشاج
وكلهم أحبة أجلة   أعزة فيما بدا أهلة
اثنان منهم صحبا نجلين   لكل واحد بغير مين
وواحد كان مع الحليلة   فهكذا المحبة الجليلة
كل محبة اذا لم تقترن   في الله بين اثنين في كل قرن
فانها محبة ممقوتة   قد ضيعت لربها وقوته (١)
وفيهم أيضا فقيه فيه   محبة النبي وصاحبيه
قد غمرته غمرة الانوار   كالبدر ان أشرق في الابدار

الحب مدعاة للوصال

انظر الى الناس مشوا الى النبي   بزوجة وولد محببي
على متون الحب والاشواق   والدمع ينهل من الآماق
ولم يبالوا بالذي قد خلفوا   متى تتم بدرة استأنفوا
وليس من لم يصل الحبيبا   صبا وان زعم أن أذيبا
انكان باب الوصل مفتوحا ولم   يك رقيب لا ، ولا كان ألم
ثمت لم يقدم محب للوصال   فذاك أكذب الورى فيكل حال
ولم يشم ريح حب قلبه   فقد بدا على العيان كذبه
أيلج المتيم الاخطارا   ثم يخوض في العدا الشفارا
ويعرض الحوباء للمهالك   كيما يواصل الألى هناك
ويتمتع بلمحة وقد   جالس من حبه في القلب اتقد
ثمت يكسل الذي قد زعما   ان كان من حب النبي في ظما
وقد تيسر له الوصل وما   جاد بما يملكه منكل ما٠٠(٢)
فان هذا أكذب الكذابين   حر بكل العيب من عيابين

---

١) جمع وقت
٢) أي من كل ما تحت اليد

وكل مـا يزعـم فى الطريـق	من الصعوبات فمن تعويق
فكله سهل وليس يصعب	ان كان عزم كل ما تطلّب
أكرمنا الكريـم بالمركـوب	فى البحـر نحمـل الى الحبيب
واننـا لجـالسون فيـــه	مثل جلوس المـرء فى أهليـه
عـلى فـراش حسن وثـير	ان شئت أو فوق ذرى السرير
وان تكن قليـل ذات الايـدى	ففى هناك ساحـة قـد تجدى
تصـل والناس جميعـا وقتـا	فما الذى بعد فقدت أننا
فأين ذا مما حكـوه فى زمـن	لا يستطيع الحج غـير من ومن
لابـد من جـوب قفار برقـة	فى نحو عام مـع بعد الشقـة
يذهب فى ذا العام ثـم يـأتى	فى آخـر ، والقفر قفر عـات
والامن فى الطريق ليس يوجد	فكـم وكم نفس هنـاك تفقـد
حتى أتى عن بعضهـم أن زالا	حج اذا ما صادم الاهوالا
لكن أهـل العصر ذاك فـدوا	دينهـم بهـم وحقـا أدّوا
فلم يبالوا باختلال الطرق	ولا بما يلقون فى المضيق
ولا بمشى حفيـت بـه القـدم	ولا باعياء ولا كل ألـم
بل أخلصوا وجهتهم لوجه من	خلقهـم بـلا تطلب ثمن
فهم حقيقة دروا ما فعلوا	وادركـوا لـذة من قد يصل
ومع ذا فانهم فى الكثرة	كالطيس فى حجهم والعمرة(١)
أما بنو هذا الزمان فهم	عجـز وبخـل وفتور يصم
فاللـه قـد يسر ذا الحج ، ولا	كـن قـل من يؤمـه من المـلا
يصلـه ذو المـال والاعمال	والشيخ والشيخة كالعيال (٢)
فكن بقـدر الطوق ذا مؤونـة	فربنا يكون فى المعونـة
تزودوا فـان خير الـزاد	تقوى الالـه خالـق العبـاد

* * *

وفى انتصاف الليل سار المركب	وصوتـه كالرعـد حـين يلهب
فالله من سيرنا فى البر	هو الذى سيرنا فى البحر

١) الطيس بفتح فسكون : الرمل

٢) هذا فى زمن صاحب الرحلة ، وأما اليوم فليس فى الطريق الا نحو ١٢ ساعة

اياك ان تنسب كل فعل لغيره كـذاك كـل قـول
فارع الشريعة مـع الحقيقة باجمع تفهم رتب الطريقة
من ليس ذا جمع لها ذين فلا يكون فى تلك المعانى بطلا

في العرائش

وفى الصباح بدت العرائش كالنصل فى السهم لواه الرائش
وهى قريبة من المرسى كما قاربت الخدود أنفا وفما
والبحر صعب كالصعوبة التى صرت هناك فى الرباط الفذة
ترى الزوارق ترنح كما يعربد السكران حين احتدما
وقل ما انزله أو رفعا مركبنا هناك ثم ودعا
بعد المساء صار فى الظلام والليل والامواج فى الاظلام

في طنجة

وفى انتصاف الليل كانت طنجة ازاءنا فى زينة وبهجة
وكل مرسى حله ما دخلا فى الليل الا ذا ففيه نزلا
لكونها قريبة من بلده وما بها من أهله وعدده

الاندلس

بره ان كنت بها تراه من غير بعد بل ترى قراه
وذاك بر كلـه نصارى عددهم ليس لـه قصارى
وفيه ايضا كانت الاندلس تلك التى تبهج فيها الانفس
يبصر رأى العين ذاك البر وليس يخفى سره والجهر
رده ربنا الى الاسلام وما عليه كان من أحكام
فانه قد كان فى سنينا كثيرة قد جاوزت قرونا
دار الهاذا الذين ثم ذهبا بجنس اصبنيول ثم اقتضبا
فى تاسع القرون كان استولى عليه اولى لـه ثم أولى
وبعد ما هدم بالكفران جميع ما فيه من الايمان
خرج للبر الذى يليه بطيس جنده وبالتمويه
فامتد ما امتد فكادت تغرق به بلاد الغرب حتى المشرق
لاكنما الله أغاث المغربا بمال سعد الاصفياء النجبا
وببنى الترك فكفكفوه فبعد أن داروا به كفوه
بذا نجا من كيد هذا الجنس مغربنا اذ ذاك قرن خمس

وقد أتى أيضا بوسط القرن   هذا الذي انقضى لنشب السن
لكنه هزم في تطوان   بجيش مولانا الرضى السلطان
بثان بعد أن حبي بمال   فذاب كالثلج لدى اشتعال
ثمت جاء جنس ءاخر أشد   من ذاك والرمى بكفيه أسد
في نحو خمسين بثالث عشر   أخذ في استيلائه على البشر
استخدم الحيلة والحرب معا   والوعد والوعيد ثم الطمعا
وليس يعجل الى الامور   بل يتبع الامور بالتقدير
قد ضبطوا أنفسهم من قبل   فانتظم الفعل لهم والقول
تواصت الاجداد والاولاد   أن ليس يبقى فيهم فساد
فاقبلوا بخيلهم ورجلهم   وكيدهم ومالهم وحولهم
الى أن استولوا على البلاد   فقبل الكفر لدى العباد
فطنبوا واسسوا وقربوا   وابعدوا وعمروا وخربوا
فما رأوه نافعا لديهم   ساد وأدنوا من رضوا اليهم
وكل ذا سياسة اختبرت   قد جربت من قبل ان قد سيرت
وما نسوا ماشاهدوا في الاولين   اذ غلبوهم بنصر مستبين
انظر فكم مضى وراء الاندلس   والمسلمون لهم فيها انس
فلم يزالوا في اجتهاد واحتيال   والمسلمون في ازدهاء واختيال
وأمرهم ما بينهم جميع   والمسلمون شغلهم صديع
والحرب بينهم سجال في الوغى   حتى علا الكفر الهدى فلدغا
وذاك من ترك الجهاد والالى   قد تركوه يغلبون في الملا
لما قلا سلطاننا الجهادا   ولازم العيال والمهادا
جاش العدو فعلا واستحوذا   وملأ العباد خسفا وأذى
ثم غدونا للذي تدريه   من الذي تراه من كريه
فهكذا ما قد رووا عن الرسول   وقيله أصدق قيل اذ يقول
ان أمتي قد تركت الجهادا   وألفوا المحراث والسمادا
ولازمت وراء أذناب البقر   ورئمت هون الجبايا والصغر
سلط ربي ذله والكفرا   عليهم ولا يرون نصرا
حتى يراجعوا أصول الدين   ويدفعوا دونه بالمسنون
لاشك أن هذه الدواهي   منا من الاقرار للمناهي
فذلك البر مضى جميعه   وقد خلت من ديننا ربوعه
وهذه الجزائر المسكينة   قد ذبحت أيضا بلا سكينة
كذاك تونس الذي قد تونس   ياويح من ضمت بنيهم تونس
فليس باقيا بهذا الغرب   ما مسه الكفر بذيل الجنب
سوى طرابلس تلك وحدها   وساحل المغرب هذا بعدها

فهكذا قد دالت الايام ... للكفر حين استصعب الاسلام
فرجع الكفر الى أماكنه ... من أجل فتح الصحب خير ساكنه
فربنا ياتي بوقت خير ... يعز دينه بذل الكفر
فجل تر ذاك الذى قد وقعا ... لنا فما راء كمن قد سمعا
رجع بنا الى الذى تركنا ... فللحديث طرق يسلكنا
نزل بعض راكبي الصويرة ... معي دعت بذلكم ضرورة
وذاك انهم يريدون المسير ... قصدا واننى لتونس أدور
فسرت والشقيق عبد الله ... مع الحجيج من رباط الله
بقصد واحد لنا بتونسا ... انقذها منقذ جسم يونسا
كان بها ابن أمة من جدنا ... من لد عشرين مضى من عندنا
فقلت لابد لنا من أن نحوز ... لدنه أجر صلة لكى نفوز

في جبل طارق

فأقلع المركب للمسير ... عند الزوال معلن الصفير
فطار فى تياره مورده ... جبل طارق الذى يقصده
فكان برنا على نحو اليمين ... وفى الشمال ذلك البر بَيِن
كلاهما بقربنا والبحر ... قد رق حتى قد علاه البر
فمن يرد برهم فهو يسير ... الى شماله لدى وقت المسير
ومن تكن بلاده قد أم ... يؤمها نظيرنا امام
نسير والطرف يشاهد القرى ... في برهم على الشمال وورا
وسبتة من برنا ذات ارتفاع ... كأنها يد تمد للوداع
أخذها من قبل ذا النصرانى ... بالكيد والقوة والطغيان
وذاك فى أول قرن التاسع ... ولم يجد نداؤها من سامع
يا رب ردها الى الاسلام ... بجاه خير الرسل والانام
فهكذا جزنا المجاز والسفين ... تاتى وتذهب يسارا ويمين
ثم وصلنا عند وقت العصر ... وكل ذا والفلك دوما يجرى
ثم نزلنا طارقا فى المرسى ... وفلكنا من بعد عسر أرسى
لطول مرسى السفن فى ذاك الجبل ... كأنه فى الطول حلقوم الجمل
هذا وذاك جبل مضاف ... لطارق من ربت الاشراف
رباه موسى بن نصير سيده ... فشابه الاسد وثبا ولده
قد كان مولى ثم صار مولى ... فكان بالمجد الاصيل أولى
فهو الذى فتح أرض الاندلس ... فتحا أدال أرضها دار العرس
وكان ذاك الجبل المطل ... اذ جاء نزله ونعم النزل

ثم أضيفه اضافة الشرف ... وكم اضافة كمال وشرف
فبعد أن رست بنا السفينة ... ملنا الى النزول للمدينة
بربعين كلنا قد نزلا ... بقدر ما كان الطلوع أولا
فاذ نزلنا ودخلنا فى الزقاق ... دير بنا حتى غدونا فى النطاق
قد حلقوا جميعهم علينا ... وطرف كل شاخص الينا
كأننا قردة فى الملعب ... ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان فى الاصيل ... قبل غروب الشمس بالقليل
فحرت فى المكان كيف يوجد ... ومن نؤمه ومن سير شد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى ... كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس فى الجبل غير الكفر ... سكنى ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون ... من الازقة لذا لا يوجدون
قد زعموا أنهم لصوص ... الله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل ... اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين ... فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق أوراق الدخول ... من لم يحز منها فما له دخول
ثمت جزنا الباب والاوراق ... تمد حتى دخل الرفاق
فظلت أسأل عن القنصو الذى ... يأخذ أمر الناس خير مأخذ
فهو يسمى عند كل بسعيد ... خليفة السلطان مولانا السعيد
قد كان رقا للذى كان هناك ... قبل فاعتق فزحزح الشباك
فخلف السيد فى المقام ... فكان من أفاضل الاسلام
جئنا اليه غرباء معلمين ... بما أردناه من النزل الامين
فقام مسرعا يفتش كما ... يفعله لسيد من خدما
وذاك ما يدل أن كان له ... مع ربه اخلاص ما عمله
كنا (يح) (١٨) اصاحبا اخوانا ... ونبتغى جميعنا مكانا
ولم نرد تفرقا فوجدا ... نزل بـ(يه)(١٥) من ريال عددا
خمس ليال قد عزمنا المكثا ... هناك فى جبلهم واللبثا
ويجب الربع لكل ليلة ... وذا غلاء ما سمعنا مثله
ثم هناك ما يكون أغلى ... من الذى كنا ذكرنا قبلا
وقيل ليس موضع فيه الغلا ... نظير من قد سكنوا ذا الجبلا
وذاك كله من أجل الثروة ... ومالهم من جاههم والقوة
ديارهم جميعها قصور ... كجنة لو كان فيها الحور
كذلك الاسواق جمعا بنيت ... مثل عروس يوم عرس جليت
فيدهش المبصر مما ابصرا ... مما يغر كل من قد كفرا
تقول زهرة الدنيا بأسرها ... واتتهم بسرها وجهرها

أزرقـــة قد فرشت بالعود   والكنس من طبعهم المعهود
كأنما فرشت أحسن القصـور   للوافدين يوم أنس وحبور
امـا نظافة الظواهر فـلا   تسل فشأنها لديهم قد علا
لـو رزقوا نظافة البواطن   بالدين كانوا خير كل ساكن
لاكنما الدنيـــا لهم جنات   لهم بها النعم والمنيـــات
وباغترارهم بها اجتنبوها   ثم حبوا فى الحزم ما حبوها
فاقبلت اليهم اقبــــالا   ولم يـروا من وصلهـا مطـالا
لكن من دخل هاتيك القصور   وشاهد الفراش منها والسرير
فليس يرتـاح الى العشاء   لمـــا يصمه من الضوضاء
فعربات الخيـل والبغال   ترتج فى الانهـر والليالى
ولست تسمع كلام صاحبك   من كثرة الهز الذى بجانبك
وكل بنت من بنات الكفر   تركب فوق عربات تجرى
وكل من يريد الانتقـالا   ينقلـه ذو العربـات حالا
كـذاك من يريد نقـل الامتعة   فانها تقلـه ومـــا معـه
وكل زبل فى المدينة وما   فبذه فقط يرى نقلهمـــا
فهكذا كفوا مئونة العمل   قد قربت اليهم كل الامل
لذا تراهم والرؤوس فى السما   كأن كلا منهم ابن ما السما
حقـا لهم مقامـــة فخيـم   لو كانت الدنيا لهم تـدوم
لكنهم ومـــا أشد جهلهم   قد اهلكوا انفسهم وأهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق   والرشد والخلق معـا والصدق
لكنما الاديـــان بالهدايـــة   من يهده الله يسدد رأيه

في البحر الابيض المتوسط

ثم بدا لى بعد ليلتـــين   احداهما (كـز) (٢٧) بغير مين
لرمضان صادفتنى فى الجبل   ذاك فلله الثنا عز وجل
ان التحقت بسفينـــة الى   ملطة ثم تونس على الولا
أديت فى الكراء ما قد طلبوا   خمس ريالات فذا ما يجب
وهذه السفينة الجديـدة   واسعـــة عريضة مديـدة
قطولها (قص)(١٦٠)من الادرع فى   عشرين بل بعدد أعلى تفى
وذى كما ترى أجل قدرا   مـن أختها تلك ومستقرا
فذى لها فى الطبقات أربع   وتلكـم لها ثلاث ترفـع
ومجمل القول لمن سيدرى   ان هذه مدينة فى البحر
لاتحسبن فى الوصف ان فيه غلو   فيعلم العلام أن ليس الغلو

فكل ما تسمعه عن السفن ... فلا تكذب ما وعت منه الاذن
فليس راء مثل من قد سمعا ... ولا الذى يجهل مثل ما وعى
ركبتها أيضا بيوم الجمعة ... فبهرت طرفي بطول وسعه
فسار نحو القبلة المقصودة ... أربعة أيامها معدودة
من غير وقفة بهاذى المدة ... كأنما الفرس شدشدة
وقد تبدى برهم وبرنا ... فى مبدا السير نجيل الاعينا
ثم الى الظهر فلم يظهر على ... برهم سوى ثلوج تجتلى
وتلك اندلسنا المسكينة ... متى يؤدى كفرها ديونه
فربنا بفضله ومنته ... يردها للدين ضمن ملته
ثم لدى الغروب لايبدو سوى ... تصادم الموج التطاما واستوا
وفى صباح اذ تجلى الاحد ... بانت لنا جزائر تنفرد
كانت قبيل لبنى الاسلام ... ثم كساها الكفر بالاظلام
وفى صباح يوم الاثنين بدا ... بر لتونس كعقد نضدا
نزلها الكفار من سنينا ... ثم اغتدى الحكم لهم مكينا
فالله يقطع لهم ما يرتجون ... منها وان شاء الاله يخرجون
ثم هنالك جزيرة علت ... فى جبل كطلعة تهللت
ملكها الطليان وهو جنس ... ءاخر فلكه لديها ترسو
يوما وليلة يسار فيها ... لابد من بحر لقاصديها
قريبة من برنا معزولة ... عن برهم ذليلة مخذولة
كانت لنا ثم غزاها الطليان ... فبزها بقوة وطغيان
ومثله الجنس الذى يسمى ... اصبانيا بالنقص فيهم يرمى
لانهم قد منعوا قدامهم ... من برنا وما جنوا مرامهم
قد ضرب الله عليهم ذلة ... مذ قلصوا المدين منهم ظلة
فانهم قد قتلوا كل ندس ... واخرجوا دين الهدى فى الاندلس
وقتلوا وحرقوا وغربوا ... اخواننا كما تقول الكتب
وكاد يستولى علينا لكن ... قووم فى الظاهر بل والباطن
أما الذى ذهب بالجزائر ... وتونس فذاك جنس قاهر
هو الفرنسيس الذى تقوى ... برا وبحرا والجناح سوى
سار الى اخواننا هناكا ... ففاقهم بالجند أو بهاكا
فمد ذيله عليهم قهرا ... ثم أذاقهم وبالا بهرا
وجنس ءاخر يسمى انكليز ... يزعم ان كان المفخم العزيز
مفتخر على بنى الاجناس ... ومن سواهم من جميع الناس
يفخر ان له مع العثمانى ... دوما يد فى كل ءان ءان
وليس ذا بمفخر حقيق ... لدى عدو لا ولا صديق

ليس له بين الجنوس قيمة | لكونـه مفلل العزيمـة
وسفنه على الدوام تجرى | عليهم وللنـواحى تسرى
وعدها ليس لـه ادراك | اعـدا نجم لـه الادراك
ترى الى المشرق أو للمغرب | وللشمال والجنوب فاعجب
وهي على البحار كالدواب | في طرق البر بلا حساب
أمـا عديدهـا بكل مرسى | فانه فـات حصى وطيسـا

في ملطة

ثمت في ليل الثلاثاء دنا | لملطـة بجريـه مركبنـا
وفى الصباح كان عيد الفطر | وفيه قد زايلت متن البحر
واعجب العجاب أن قد عيدا | بتونس الخضراء قبل الاحدا
واننى راقبت رؤية الهلال | عشية الاحد ثم لا هلال
هـذا وان صفحة السماء | كمثـل المرءاة للحسنـاء
وقد تحققت ولم أشكـا | فهل يغادر العيان شكـا
وحيث لم يكن هلال فى الاحد | فكيف فيالسبت يراه منأحد
وما جرى للتونسيين سوى | أن تبعوا الحساب قبل باستوا
صاموا بيوم جمعة في الابتدا | فاستيقنوا الهلال فيالسبتبدا
فانظر الى اختلاف أهل الزمن | من قلـة اعتنائهم بالسنن
لم يبق حق الوهم فى ذاك وقد | روقب صحوا يوم سبت وأحد
ملطا مدينة كبيرة غـدت | ديارها فوق الربا قد شيدت
وانها لقطـع متفرقـة | باليم اذ خلجانه مدفقـة
مشحونة بعاملى المراكب | وبالالى قاموا عـلى القوارب
وسفنهم بين الديـار ترسو | بها ينال ما اشتهته النفس
هذا لمن توطنوا المرسى وما | يسكن فى الداخل مما علمـا
بناؤهـم يناطـح الثريا | كـأنـه كان لها نجيـا
لكن ماء الشرب ليس يوجـد | ان فقد المـاء فكل يفقد
لذا تظل جائيات ذاهبات | لتستقى الماء الجوارى المنشئات
وكم بـلاد ذات ماء جار | ما قدرت قـدر القراح الجارى
وملطة فيهـا من الانـام | ما قد قضى بشدة الزحام
ولست تعرف الذى قد نزلا | لكثرة الزحام ممن رحـلا
لكنهم ليس لهم من قوت | الا من المجلوب أو من حوت
لذاك ألقوا كل عجز وكسل | وراءهم فاقبلوا على العمل
فلهـم الحزم عـلى الدوام | فى كل ما يعمل للتمام

قد نظموا الامور بالتوقيت   فانتظمت لهم على الوقوت
فكل من فعل شيئا يسجن   بقـدر فعله وليس يفتن
ففيهم المسجون مدة العمر   أو مات جيفة كجيفة الحمر
مع عسكر مشمر مصفف   ملفف مـزوق مخفف
كـأنه في لبسة الدبى وقد   يظهر كثرا وهو قل في العدد
يقف أو يمشي على المزامر   نصوتها النـاهي لهم والآمر
ولهم خان فخيـم فاخر   حاطته فيما قد رأوا مفاخر
وعرباتهم تقـاد بالخيـول   كأنهـا في جريها ماء السيول
فتلـك ملطـة وذي أخبارهـا   قد استنارت في الدجى أنوارها
أعزها اللـه بدين الحـق   ورد أهلها لاهـل الصـدق
وهم بها في سيرهـم في شدة   يشد كـل في البحـار شـده
وهم على التحقيق في التعذيب   دنيا وأخرى من سوى تكذيب
دجاجـة بربعـين تـرخـص   وليس في أسواقهـم مرتخـص
وعندهم صنف من المعز يبـاع   بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
عشر ريـالات ويـدعى الضياع   وانها أشريـة لا تستطـاع
ضروعهـا كبـيرة كالبقـرة   تـرْوى بحلبة رجالا عشرة
بتنـا بها بأقبـح البيـات   في قبـر عـود كـذوى الممـات
لاننـا لـم نـرد الغـلاء   فهـل تمـد ربعـا كـراء
وذلـك القبر عـلى ضيق بـه   امتـد كلنـا بـه لجنبه
وذاك كل ما يحب المعيى   ان الفضول خلـق أهـل الغي
نبينـا وأهلـه من اتقيـا   أمتـه كـذا جميع الانبيـا
قد برئـوا من التكلف الـذى   لم يستطعـه كلُّ وقت مُحتذ
وانـا في البدو قد ألفنا   صبرا ان اضطجعنـا أو وقفنـا
ثمت شمت منظر الجزيرة   كأنهـا بساتـن نضـيره
تلألأت في الليل بالضياء   بسرج كـأنجم السمـاء
وهي جزيـرة بوسـط البحـر   ستين ميـلا قـد حـوت من بر
ليست ببرنـا ولا ببرهـم   بها توطن عظيـم كفرهـم
فجنس أنكليـز من أقامـا   بها فكانـوا فوقهـا حكاما
مقرهـا بوسط البحر وقـد   توسطت فـلا تخاف من أحـد
فتونس من جهـة • طـرابلس   من جهـة لمصر أو بيت القدْس
وبينها وبـين مرسى مصرا   مسير أربـع ان سرت بحـرا
وبعـد مصر كـان مرسى الشام   بينهما ثـلاثـة الايـام
وقسطنطينيـة بعـد الشام   كما حكى من جـال من أقـوام
فمصر والشام وذى في برنـا   ووصلنا بالرجل فيه أمكنا

قد قيل أن ذى تجاه الغرب ... بعد جواز البحر ذا بالقرب
واللـه يدرى أى ذاك كانـا ... فكـل ذاك ممكن امكانـا
وكيفما كان فهذا البحر ... ماشاه من مغربنا ذا البرّ
حتى الى قسطنطينية التى ... بها بنو عثمان خير ملة
أو ما الى ما قد يحاذى الموضعا ... ان تك فى بر الشمال فاسمعا
وملطة المرسى لكل سفن ... مرت على البحر بشتى المدن
وكل ما تقصده تجد ما ... تركبه اليه فلكا معلما
اذ كل فلك له سير خاص ... يعلمه العوام والخواص
ثمت لم نبت بها أكثر من ... ليل طويل ضيق الجحر خشن
كأنه موج علينا سدله ... أرخى ليمطر علينا ويله

إلى تونس

وفى النهار سار فلك فجرى ... بنا الى تونس أنس من يرى
لكون مركب اليها ما وجد ... من جبل الطّارق بعد ما اجتهد
أجرته ثلاثة لواحد ... لتونس الخضراء بشر الوارد
فخب فى البحر كطير أطلقا ... أسرع مما قد ركبت مطلقا
وهو لمرء من فرنسيس وما ... مضى لانكليزى فلتعلما
لكن ذا أصغر من ذاك سوى ... ان النظافة هما فيها سوا
ترى الجميع فى الصباح قائمين ... بالغسل والتجفيف غير نائمين
كأن ذاك هو فرض الصبح ... أداءه سبب كل نجح
وذلك عادة لهم مستحسنة ... حسنة بالطبع أى حسنة
كنا مع اليهود والنصارى ... مجتمعين ثم لا ضرارا
كل له دين وعادات فلا ... لائم كيف كنت يبدى العذلا
لكن خير عادة للمسلم ... فى ملبس ومشرب ومطعم
أقبح بحالة النصارى أيّا ... كانوا على الاطلاق ليست شيّا
ليس لهم فى منظر ومسمع ... حال شريفة وحسن مطبع
صورتهم فى صورة اللباس ... أقبح ما يكون عند الناس
رأيت فى ملطة صنفا من نسا ... بخمر كعهدنا عند النساء
فقيل أصلهن من اسلام ... ثم بقى ذاك على الايام
وحال أكلهم كأكل البقرة ... فى كثرة وسرعة مختصرة
وليس من يجهر بالاكل حيا ... بينهم فذاك مما ارتضيا
فعزلة وخلطة سواء ... فالقصد أن يمتلىء المعاء
لا يمضغون أكلهم بل يبلعون ... كل الذى قدامهم فيضجعون

وربمـا تجنبـوا النعاسا   عشية يمشونها استينـاسا

وبالشمال أكلهم لم يألفوا   سوى القباح غيرها لم يعرفوا

وقد رأيت واحدا فى المركب   يلتهم الخس التهام اللهب

والحفل كلهم اليه شاخصون   وهم بلحظهم اليه غائصون

وفى يديه الخس والخبز معا   يقرض منهما بموسى قطعا

وورق الخس غليظ وطويل   مقدار شبر فيه أو هو الطويل

يضعـه والخبز قطعة كمـا   يلقم فـاه فنفذا ملمّما

فقلت ان المضغ واف بالمراد   يحصل منه قبل زرد ما يراد

اذا بـه يبلعـه بأسره   فى لحظـة ثم انثنى لغيره

وهكذا كـأنما جن الرجل   أوخاف أن تنسد للطعم السبل

وهو بنفخ كاحتدام الضرم   ان فتح الشدق لاخذ اللقم

هـذا ومقلته ترمى بشرر   متى أجيلت فى وجوه من حضر

كنت أمامه فصرت اعجب   من صنعه والوجه منه أعجب

فقمت فى الحين فأمسكت القلم   بعـد صلاة وقراءة الم

اثبت للسامع هذى الطرفة   يسمعها اذ لم يمتع طرفه

فربمـا حرمت الابصار   وتمتع المسامع الاخبـار

ومجمل الكلام أن القومـا   نهشهم كنهش ضار لحمـا

حلق اللحا لديهم صـواب   وترك شارب لهم كـتاب

ترى الشوارب لهم مثل اللحا   وموضع اللحى كعود يلتحى

وربمـا تجـد من جابههم   من مسلم بالزى قد شابههم

ومـن تشبـه بغيره نسب   له وفى الصحيح حقا قد كتب

(ان الطباع تسرق الطباعا)   وذا مشاهـد فـلا نـزاعا

ما الكلب ما القرد وان كل قبح   أقبح من طبع جهول ما صلح

ذاك على ان الالـه صانع   ما شاءه من خلقه لا مانـع

تنزه الالـه فـى صنعتـه   وما على الكون سوى صبغته

فلنعطف العنان ان القولا   ما مد بالقلم مد ذيـلا

عند الضحى بعد البيات ليلا   فى البحر بانت تونس كليلى

تلألؤ فى البر مثل الدرة   فى نحر حسناء كعاب حرة

كل غريب عنـدها حبيب   وكـل من سكنهـا أديب

نزلتها يوم الخميس الاول   ثالث فطر شهر شوال الجلى

مدينـة السر مع الصـلاح   والرشد والارشاد والفلاح

مدينة الاخيار والافاضل   سكانها من فاضل لفاضل

والحسن والبهاء والجمـال   أوصافها التى لها الكمال

مدينة الفنون والعلـوم   والحفظ والتدريس والفهوم

مأوى الامام العارف ابن عرفة ... عرفه بعلمه من عرفــه
كنيته اشتقت له من معرفة ... وذاك ما يعلن دوما شرفه
ركن العلوم طول عمره بما ... أشاد بالتا ليف بين العلما
وجبل الدين وفخر الورع ... وذاك قد ولج كل مسمَع
كأن الاشتقاق من أبيــه ... جاء على حق بلا تمويــه
فجاء شبهه على ذاك العلم ... (ومن يشابه أباه فما ظلم)
يكفيه أن أم على طول الحياة ... فى جامع الزيتون فى كل صلاة
قد ضم للعلوم من تدين ... ما كان كالمثل طول الازمن
وليس عارفا لاهل الفضل ... سوى ذويه فلتكن ذا فضل
لكن أهل الدعر والاشرار ... ليس يرى منهم سوى الانكار
فالخــير لايعرفه الاشرار ... والشر لا يعرفه الاخيار
والخير كالذهب فى المعــادن ... وليس يدريه سوى المعاين
ولا يعاينــه من لا يعرف ... والكمه لايدرون ما قد عرفوا
فالطيبون الطيبات ألفوا ... وادركوا من طيبها وعرفوا
كما الخبيث مثل جعل ان بين ... ورديمت اذ ما درى غير النتن
كذلك الشيخ الامام عرفه ... من كان يدرى من هو ابن عرفة
وجامع الزيتون فى الجوامع ... مكلل بخير وصف جامــع
فــلا يقاس كمه مساحة ... طولا وعرضا وبنا وساحة
أعمــدة كأنهــا نخيــل ... وعدها للمعتنى يطــول
قد نحتت من الرخام فبدت ... بيضاء أو دكناء امــا قصدت
وبعضها تعددت ألوانــه ... فيبهر العين بهــا عيانــه
ففى مصلى العالم ابن عرفــة ... خمس أساطــين علت ملففة
وقد رأيت عجبا فى البعض ... من الاساطين لنحو العرض
خطا بلون خلقة الخــلاق ... اسم محمــد برسم بــاق
واسم ابى بكر واحرف عمر ... ثم على ذاك بــين ظهر
وذاك من خصائص الزيتــونى ... حفظــه الله مــدى القرون
وهو منظف كبيت العرس ... فجــاء بهجة لكــل نفس
فــلا قــذى يوجد فى فرشه ... ولا أذى مــوذ لمفترشــه
سرجه فى الليل كالنجوم ... تهتك سجف المظلم البهيم
طلبت عدها فسرت أحسب ... الى الثمانــين فعز المطلب
هذا على الدوام فى الليالى ... كالتــاج اذ يسطع باللئالى
أما اذا جاء احتفال ليلة ... وأوقدوا فيها المكان كلــه
فانها أضعاف أضعاف الــذى ... عددته فقس بذاك تحتذى
وهو مكان العلم والاقراء ... يطفــح بالجها بــذا لجماء

في كل جانب به مجالس — تعرض من أبحاثهم نفايس
وكل من جلست جنبه أرى — ذكاءه في البحث كالعضب فرا
يبدى لدى التدريس من تدقيق — في كل بحث منتهى التحقيق
قد كنت أحضر هناك كلما — أقبل للتدريس فيه العلما
فكنت أشهد بـه عرائسا — تجلى متى أطرق لهم مجالسا
فياخذ المدرس الكتابا — بيده وان يكون عبابا
فربما يراجع المشكوكا — أولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يسأله يجيب — بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدى — بالفهم في المدروس كالزهر الندى
هذا ولا ترى سوى تواضع — من سائل أو باحث أو سامع
وذاك طبع أهل تونس على — ما قد رأيته لدى كل ملا
تواضع في ضمنه تسامح — تلاين يزينه التصافح
فكل من لقيته يصبح — بالخير باسما فلا من يكلح
حضرت في صبيحة مدرسا — برخصة قدمها من آنسا
في جامع الزيتون يوم اثنين — فكان لى أسعد يوم زين
والقصد أن أحوز فضل العلما — وان أنال خير من تعلما
والفضل بالاجماع عند العقلا — لاهل علم الدين لا للجهلا
فكان يدرس أبا الضياء — درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون — قدوتهم في الفهم في الفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق — حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم — فكان في تقريره فردا علم
أجدر به لذاك أن يكونا — قطبا لمن سواه مكينا
فكل وصف كان يوصف به — فقد غدا أرفع من منصبه
وكل ما يمكن أن يزبره — ذو قلم ان كنت معه تره
وبعد ما أتم درسه وقام — جميع من معه دلفت للسلام
فبعد أن تمت توابع السلام — جالت بنا في الدرس أفراس الكلام
فقلت قد كان بصورة كذا — تقريرها عكسا كما قد أخذا
فجلت معه وأنا لا أحتذى — الا الذى أخذت خير مأخذ
فاذ رأى الفجر بدا في السدف — قابلنى بطبع كل منصف
فمال لى مستجمع الاطراف — اذ ادرك الصورة بالانصاف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه — ينظر أن يعينه لسنه
وهو كبير السن قد يعتمد — وخير عمدة لشيخ ولد
ووسمه محمد النفرى — من أسرة حسبها سنى
وكان مفتيا زمانا فأقيل — وان تكن شهرته ليست تقيل

فلم يزل يفتي لكل سائل   من غير أن يحوز أي نائل

لان من يكون مفتيا لهم   هناك كالقاضي ينال نيلهم

لكن اذا أقاله السلطان   يقطع عنه ما به يمان

ثمت يبقى مفتيا بلهجته   فقط لمن يسئل عن مسئلته

السيد النفري ذا مقدم   بمئسم التجان كان يوسم

ولطريقة الامام أحمدا   ست زوايا شادها من أيدا

وفي بقاع تونس اشتهرت   لذا زواياها هناك كثرت

فقد رأيت أن مدينة فقط   بها التي ذكرتها فيما فرط

بي رحب الشيخ السني ترحيبا   وفاتح التساءل الرحيبا

فكان أن أخبرته بمسقطي   وعن تعلقي وعن مرتبطي

وانني ممن نحى الحجازا   كيما أرى بالحج ممن فازا

فقام مع ولده المذكور   يصحبه ببره المشكور

فقال لي ولده مكانكا   فستري الرجوع مني ءانكا

ومد لي كتابه كي يونسا   فهل ترى مثل كتاب مونسا

فحين أوصل أباه رجعا   ثم ذهبنا نحو دارهم معا

فكنت ليلا ونهارا ضيفا   أرى من النعم صنفا صنفا

تطوعا منهم واكرام غريب   هل مكرم ذا غربة الا اللبيب

هذا الامام أحد الاساتذة   وهم كثيرون كما التلامذة

وجامع الزيتون مفعم بهم   الله يحفظهم مع حزبهم

فالجامع الازهر والزيتون   والقرويون هدى ودين

ثلاثة في كل قطر واحد   يقبس من سنا هداها الوارد

بها وبالعلوم من أعلامها   امتنا دامت على اسلامها

قد جلت يوما في نواحي الجامع   أعد ما فيه من المخادع

وتلك ما تخزن فيه الكتب   اذ بها(حك)(٢٨) اذا ما تحسب

وكل من أراد منها دفترا   قيد خطه برق يُسرا

حتى اذا أتم فيه مقصده   رده تقييدا كما قد قيده

وانها لكتب محبسة   كما ترى ذاك بكل مدرسة

ثم هناك كان أيضا قصر   فخم علته بهجة وبهر

مفرش بفرش مرفوعة   مع كراس بينها موضوعة

أفعم أيضا كل أنواع الكتب   من كل علم قربت لمن قرب

يلجه المطالعون كل حين   وكلهم يطالعون بسكون

ولست تسمع لهم همسا ولا   حركة الا اطلاعا واجتلا

وذاك ان فكسرة الالباب   يذهبها حس من الذباب

لكن كتب القصر ليست تخرج   فكل من يريد منها يلج

ينظرها ثم مدى النهار ... فليس يمنع من استقرار
أمـا صنادق كـلام الله ... فهي بلا عد ولا اشتباه
كثيرة في القصر ذا والجامع ... فانظر فليس ثم من ممانع
ومن فضائل لهذا الجامع ... سيد كل مسجد وجامع
أن أبا الحسن ذاك الشاذلي ... العادم النظير والمماثل
درس فيه تحت ذلك العماد ... ذاك الذي كان به خير عماد
ذاك الذي رقم فيه اسم النبي ... وخلفائه العظام النجب
وكان يسكن هنا بتونس ... فكان بالارشاد خير مونس
وبعد ما حسده من حسده ... وأي ذي فضل خلا من حسدة
أجلوه عن تونس نحو المشرق ... فكان في المشرق خير مشرق
لكنه وان جلاه الحاسد ... وضل عن منهاجه المعاند
ما زال أهل تونس الخضراء ... به ملاذهم في الضراء
فقلما تسمع غيره سوى ... شيخ التجانية معه في استوا
باسميهما يلجأ من تضرعوا ... بتونس ان طاف يوما فزع
مقام ذاك الشاذلي معلوم ... وباستجابة الدعاء موسوم
والفضل في ذاك المقام شهدا ... يزوره في السبت من قد قصدا
وكلهم بين الرجال والنسا ... يأتونه من الصباح للمسا
بنوا عليه أحسن البيوت ... وألبسوه أفضل السموت
أهل الطريقة بيوم السبت ... في حضرة الذكر بكل وقت
من الصباح للزوال يعمرون ... حضرة ذكر الله ليسوا يفترون
ويذكرون الله بالقيام ... بالوجد والوجد من الغرام
هزا ورقصا والمتيم اذا ... جن بعشق كيف يسكن اذا
فهؤلاء الذاكرون الله ... جنوا فكل قد غدا أواها
من حب ربهم يحركونا ... منهم بما اياه يدركونا
الله ذكرهم ولكن ما بطن ... لم يدره منهم سوى من قد فطن
وغيرهم يحسبهم بلها وما ... أبعد من ينكر ذا أن يعلما
من ثار فيه الوجد حقا وجدا ... حتى يفرق جميعا قددا
ومن يكن مقامه من بعد ... لم يمتلكه شوقه والوجد
فانه تواجد أيفعل ما ... قد فعلوا تشبها بالكرما
هذا نبينا يقول ان من ... لم تبك عينه تباكى فافهمن
وانما الاعمال بالمقاصد ... وحسن قصد المرء نجح القاصد
قد زرت ذلك المقام الشاذلي ... يوما كفعلي عند كل كامل
فابصرت عيني المقدم به ... جلس وقته على منصبه
فشممت منه رجلا عظيما ... ممجدا وعالما فخيما

جالسته أحسن به جليسا   لكل من نافثه أنيسا

لله دره أخا رئيسا   يدرك ما يكلل الرؤوسا

سألته عن هذه الكيفية   من ذكرهم فى الحضرة الخمرية

فقال لى طريقة الامام   الشاذلى هذى بلا كلام

فهكذا كانت مدى حياته   وسلسلت عنه لدن وفاته

ومن أراد ورده فهكذا   ومن أبى فورده قد نبذا

وكل من أنكر هذا الذكرا   فهو على الامام أبدى النكرا

ترى الذى قد ادعى طريقة   للشاذلى منبع الطريقة

ينكر هذا الذكر فيما ينكر   ثم يراه شاذليا يشهر

من أنكر الكيفية المذكورة   فأين منه النسبة المبرورة

يعرف بعضا ثم بعضا ينكر   بالبعض يومن • ببعض يكفر

أخذ منها ظاهرا ونبذا   باطنها كأنه ما أخذا

لو دخل البيت من الباب درى   ما فيه أجمع لانه يرى

لكنه يدخل من ظهور   والله قد نهى عن الظهور

ومن رمى وصفا من الاستاذ   كان بكل الخزى ذا انتباذ

لم يبق حبل نسبة بينهما   أصلا ولا ورد وان توهما

فكم وكم من مدع للاقتدا   لشيخه مخالف بالاعتدا

قد اعتدى فى أمره اذ انكرا   من وصفه فكان منبوذ العرا

فلم يسلم قلبه لقلبه   فانقلب القلب له بقلبه

وهو الذى ظلم نفسه اذا   لاقاه حتف بعد ذاك أو أذى

من لم يسلم للذى قد اقتدى   به مدى الدهر فأين الاقتدا

وكل من ينكر للاشياخ   حالا غدا والله ذا امتساخ

اما بسوء الظن فى ابتداء   أو عدم الكمال فى انتهاء

وذاك لم يكن له استاذ   ولم يكن له به ملاذ

لذاك قال الشاذلى التصديق   بنا ولاية وذا تحقيق

وليس يقدر على التصديق   الا ذوو التدقيق والتوفيق

كم قائل • من ذا الذى تريد   ان يقتدى بحاله المريد

أقول فى جوابه ما يفهمه   ان شاء أن يسمع من يعلمه

اقضى المراد من مريد أن يقف   عند مراد شيخه فيتصف

وشيخه لم يعد أخلاق النبى   فى كل ما من الشمائل حبى

لاشك انه اذا ما اتصفا   بذاك اخلاصا وقصدا واقتفا

يرقى الى المقصود من معرفة   لله والتوحيد والفتوة

فى كل ذاك درجات شتى   يرقى بها المريد وقتا وقتا

وذاك كله مع الصفاء   فى القلب بالاخلاص والوفاء

وقصدنا حين نحث من أرادا   طريقنا هذى بافراد المراد

وان يرى شيخه بالكمال   فى كل أوصاف وفى الاحوال

وان يصدقه فى السبيـــل   وان يرى لديه كالمغسول

كمـا يقـول العارف المبغدادى   سيد كـل حاضر وبـادى

انه ما دام يوسوس لـه   فى شيخه لم يرق مـا أمله

ولا تزال نفسه فى ذاكا   تمـد بالوسوسة الشباكا

حتى يمر عمره ضياعـــا   من غير أن يمد قط باعا

وذاك شرطنا بذى الطريقـة   ومن يرد فليلزمن طريقة

هذا الذى يمكن فى الجواب   لـمـن يكون ملهم الصواب

أما الـذى يسـأل عـن تعنت   وقلبه بالجهل فى التشتت

فلم يكن للفته أهلا ولم   يلق لغـير وضعه تحت القـدم

ومجمل الكلام فى الطريقة   ان كنت تبغيـه عـلى الحقيقـة

أن يعمل المرء بعلم صحا   عن حسن قصد كى ينال النجحا

فى ذلك البيت لباب القصد   فاهـد الاهنا جميعنا أهد

وفى مقام الشاذلى مغـارة   معبـــده بنـــى كالمنارة

حفر تحت الاس والاركان   مقدار ما يجلس فيه اثنان

والشمع فى طول النهار مشتعل   وكل داخل بذكر يشتغل

وبالدعا والنفل والتضرع   وبانتحـــابـه وبالتخشـــع

يزدحمون كازدحام الهيم   ان وردت عن ظما عظيم

فرحمـة الله عـلى الامـام   من كان قدوة على الدوام

من مثلـه فى الدرس والعبادة   والرشد والارشاد والافـادة

نشأ فى المغرب ثـم هجـــرا   من تـونس لمصر حيث أقبـرا

وفضله مـا زال قطر تـونس   يشـع منـه كالنهـار المشمس

يـوم دخلت تونسا لقيت   فـذا عليما به قد حظيت

وكان صالحـا رقيـق القلب   ذا خلـق عال ذكى اللب

قد كان من بين ذوى التدريس   وأهـل ذكر اللـــه بالتقديس

أبـرع بـارع بفقـه مالك   وكم وكم من بـارع هنا لـك

ومذهب الامـام فيها أكثر   من غـيره والحنفى أشهـر

لان من يلـى الامـــور حنفـى   وأصله فى الترك منذ السلف

كـذا لقيت جبـل المعارف   ومركـز العلـوم واللطائف

شارب كـأس الخمرة اللـدنية   فى حضرة شريفة سرمدية

من عـام فى مقام جمع الجمـع   وقـام بالوتر حيال الشفع

لـه من الفهوم والرقائـق   رسوخ من كـرع فى الحقائـق

ولـو رأيت صفوه لشربـه   من بحر وادى عشقـه وحبـــه

لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر ... فازت به تونس خير مصر
السيد المبجل الشيخ سعيد ... ذو الشرف الاثيل والخلق السعيد
له أخ فى السن كان أكبرا ... وفى المعانى والمذاق أصغرا
ولاخيه ولد علـى ... علـى منارة العلا علـى
للـه دره لدى الافهام ... يعجب بالحدس أو بالافهام
يجلو بفكره صدى الاوهام ... فهو به فى الكر والاقدام
ولم يزل فى حالة ازدياد ... للرتب العليا وفى ارتياد
لكونه ملازم القراءة ... مرتديا متشح الجراءة
متسما بسمة الصلاح ... منتجع النجاح والفلاح
همته نحو الذرى تعالت ... وكل همة تهم نالت
فكان ءاخذا للاسم الاعظم ... عنى مع الادب له المكرم
بوصفه المعلوم والمشهور ... ينتج فى الحين بلا شهور
سبب ذا أن أباه قد رأى ... رؤيا فقصها على نبئا
قال رأيتنى ألقن لديك ... ذكرا كذا فخذ يدى الى يديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا ... فى عالم الارواح فالقلب وعى
فقال لابد من الاشباح ... تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فيحصل السر على الكمال ... فى الحس والمعنى على التوالى
فكنت معهم على المدام ... من المعانى خمرة الكرام
نجنى ثمار الوصل بعد الهجر ... فى روضة العشق براح الفكر
قد نضجت أثمارها للجانى ... وزهرها لقاطفيه دانى
والكون كله لنا أشجار ... قد غردت من فوقها الاطيار
والدهر كله لنا أسحار ... والحب قد حلت له الازرار
ونحن بين الحور والولدان ... فى جنة الاذواق والمعانى
فلا تسل عما جنت أكفنا ... من أمل معسل ومن منى
فتونس من عادتها أن تؤنسا ... كل غريب عند أهلها رسا
حياهم الرحمن ثم بيا ... فكل من يصفهم سيعيا
ان لتونس زيادة على ... كرمها رفع بناء يجتلى
بنيانها احسن به بناء ... سما بسمك رفعه سماء
مع الذى فيه من اتساع ... فى رحب الديار وارتفاع
وكل دورها قصور سامقة ... مثل جبال عاليات شاهقة
بذاك كله بدت خريدة ... رائعة خالبة فريدة
تجمع للمسلم كل سول ... لولا عدو الله والرسول
فلم تكن الا رياضا نيرة ... نجسها حكم اللئام الكفرة
جال بها بالرد والقبول ... فى كل انحائها والسبيل

اذ ولى الامور فيها عازلا فيها أميرها الغبى الجاهلا
وكان أمر اللـه فيها قدَرا من قبل أن تخلق طرا قدّرا
تأتى أموره على وفق القضا فما يشا قضى وما شاء مضى
بسبب يظهر أو بغيره فلا مؤثرات عند أمره
وان تكن سنته أن لا ترى مسببا من غير أسباب الورى
أتى أميرها عدو اللـه بنصحه وهو له ملاهى
وكيف ترجو النصح من عدوك من ليس يرضى غير نبذ شأوك
ذاك الذى استولى على الجزائر بضغط حكم المستشيط القاهر
جاء الى هذا الامير الابله كزائر يعقد وصلة به
فقال نجمع الامور بيننا دسائس تعرف منه ديدنا
نحرس هذا القطر والولاية من كل من يعلن بعد راية
نقف فى وجه المخالف لكا فعن قريب سيذوق المهلكا
فأنت رب التاج والامارة والصولجان وحليف الشارة
نحن لك العضد واليدان على صروف الدهر والسلطان(١)
وذلك الابله من مخافة توجست من صاحب الخلافة
أصغى الى تمويه ذاك القول من خوف أن يذوق طعم العزل
فتم فى الحين عليه الدست والغضب احتف به والمقت
فبعد ما كانوا له اليدين صاروا له اليدين والرجلين
والوجه والآذان واللسانا والفم والحلقوم والاسنانا
والعقل والقوة ثم الحركة وغادروه ما به من حركة
كأنه لم يك فى الوجود وليس فى الاحياء بالمعدود
وهكذا من صادق الاعداء سوف يغادر بهم هباء
القعص بالرماح عند الكرة أفضل من هذا الحياة المرة
فبعد أن كان أميرا يأمر رجع مأمور العدا يأتمر
فكان أمرهم هو المتثلا وان أشاروا للامير امتثلا
فمات ذاك الاحمق المأفون وانه أذل ما يكون
فولى الامر أخوه بعده بشرطه الماضى فوفى عهده
لان ذاك الشرط أن يولى من كان يمضى فى العهود الكلا
فاستحكم الامر لاهل الامر وانفردوا بسره والجهر
وليس للامير من ابرام من أول الامر الى الختام
قد اجلسوا عند الامير من يرى فليس يامر سوى أن أمرا
فكل ما استحسنه تم وما لم يك مستحسنه ما تمما

١) يعنى العثمانى

وكان أيضا عند دار الوزراء   من شاء أوردهم أو اصدرا
قاد مخازن البلاد بالرشا   بيده يصرف منها ما يشا
وليس للامـــير والوزير   سوى المشاهرة فى الشهور
الخرج والدخل جميعا بيده   كذلك الاحباس تحت عضده
هذا وكل المسلمين ما رضوا   لكنه ما الصنع ان لم يرتضوا
قد قاوموا اذ سمعوا الكفارا   قادوا اليهم عسكرا جرارا
ثاروا جميعا للدفاع بالنفوس   ونصبوا نحو المدافع الرؤوس
لكنه لمـــا التقى الجمعان   ولم يكن يبقى سوى الطعان
خرج من بينهم الامـــير   وكان نصب عينه السرير
فسلم الامر لسر كـــانـا   بينهم قبـل فالآن بـانـا
والناس حين ابصروا الرئيسا   أحنى أمام الغاصب الرؤوسا
تعجبــوا وبهتــوا ودهشوا   حتى غـدا اثبتهم يرتعش
فما دروا ما الصنع بعد اليأس   فالركن مُنهارٌ من الاساس
ففوضوا أمورهم وانقلبوا   وفى القلوب فىالضلوع اللهب
قاموا ولكن خانهم ذاك الامير   مايبرم التدبير ان خان السفير
فهكـذا سلمت البـــلاد   ودخلت تحت العدا العباد
أخذهــا ببرهــا وبحرها   وضمها بصدرها ونحرها
فانتكس الناس بلا كلام   وفى النفوس مضض الكلام
وذاك جائش بوسط الصدر   كالقدر ان غطيت أعلا القدر
وذاك قد ادركه من يحكم   فصار لاستيلافهم يستخدم
فلم يمل بعد بهم الى الذى   لدى الجزائر ولكن يحتذى
وانما سوى جميع الناس   فالرجل عنده كمثل الرأس
لا شرف يرفع من قد شرفا   لديـه لا ولا علاء سلفـا
فالناس كلهم جميعا شَرعٌ   أمامه : الاصيـل والمتضـع
وكـل ذلك مـن الاهانـة   لا سيمـا لعالم الديانـة
كذا جرى فى تونس الخريدة   غداة ازجى جارها جنوده
دخلها من غير سيفه ودم   بل بالذى ندم كل الندم
دخلها بـه ولكنـه نـال   فى حكمه غاية خسف واختلال
كما تنال المدن الجميلـة   فهى تراها سُلُبا ذليلـة
فالقيروان والسفاقس هما   وسُوسة مثل النجوم فى السما
لاكنما ضباب هـذا الكفر   القى عليها من حجاب الستر
ولو رأيت من بها من خلق   وكلهم أهـل الهدى والحق
لقلت لا يمكن أن يستولى   قهرا عـلى بلادهم مستول
لكـن أمر الله حقا وقعا   فلم يكن لاحد أن يدفعا

يـا رب عجل لهم بالنصر   واعل أهل الدين فوق الكفر
فان حال المسلمين اجمعين   يقول ما قال امام المرسلين
(فهؤلاء قد بغوا علينـا   اذا ارادوا فتنة ابينـا)
قد اخبر التونسيون انصدق   أن زال كل السر منذ استلحقوا
فلم تعد بركة فى الزرع   ولا التجارة ولا فى الضرع
شرائع الاسلام صارت تنقص   مذ كان أهل الكفرفيها نغصوا
ولم يسد فيها سوى ارتجاج   من عربات الجرى فى الفجاج
فهزهـا يصم كـل أذن   فيا حنانًا للذى بها منِى
عددها أكثر من كل كثير   لانها مركب كل من يسير
ومركب البر العظيم يصفر   وصوتـه لكل رأس يكسر
أسود كالحمم لـونا ومتى   جرى تنقل هذا ظليم أفلتا
يا عجبا من صنعه يا عجبا   وليت شعرى كيف من قد ركبا
ثم هناك السلك فوق أعمدة   يطول نحو مـن يطاول يده
وبين أعمدته طـول وسط   ويل لمن مسه أو به ارتبط
وحركات الكفر جمعاء على   ما قد مضى • بتلك أمره عـلا
قـد غلبـوا بقـوة وفطنة   وباتفاقهم عـلى الكلمـة
ونحن لم يبق لنا سوى الدعا   لله كى يُعين من لنا رعا
ان رعاتنـــا هم البـــلاء   كيف لنا ان فسدوا العلياء
لانهم من كلفوا بكل مـا   نحتاج من لبس ومن طعم وما
فنحن فى بلادنا بالخـــير   بعد ولم نر بها من ضير
اذا بعد الاله أهل الكفر   عنـا بفضل ربنا والنصر
ان ينصر الله فليس غالب   تخافه عليك لا والسالب
أما التى استولى عليها فالهوان   يذوقه سكانها كـل أوان
فهذه تونس قـــد حكينا   من خسفها والذل ما رأينا
يا رب رد أمرها للمسلمين   فى القرن يارب بجاه الصالحين

تنهد على حال المسلمين

وقد جرى لى ءاخر الايام   هناك مع فذ من الاعلام
ان كنت من بعد صلاة العصر   فى جامع الزيتون عنـد الحبر
اعنى به ذاك الذى سطرته   وبرقيق القلب قد ذكرته
مستندا الى عمود الشاذلى   وهو مكانـه لذى الاصائل
ذاكرنى فى العقد للمحبة   لله كالعـــادة فى الاحبـة
فقال لى بلغ الى الرسول   متى حظيت منـه بالمثول

فقال قولا ألهب القلوبا حتى تكاد منه أن تذوبا
وحرك الاشباح والارواحا وحرك الجبال والبطاحا
قال اذا وصلت قبره الشريف وكنت أثناء مقامه الظريف
وفازت النفس هناك بالمنى واكتحلت عيناك منه بالسنا
فقل له يا أيها الرسول عرا بنى ملتك الذهول
وانها لأمة مستضعفة احتوشتها أمم مستضعفة
حتى غدت كاللحم فوق وضم من يفتح الشدق اليها يلهم
رموا وراء كل ما خلفنا وضيعوا فى الدين ما اسلفنا
ونبذوا الدين سوى اطلال تبدو لما اسست كالظلال
واقبلوا كلهم للشهوات كأنهم قد خلقوا من شهوات
فبأسهم بينهم شديد من أجلها كأنهم حديد
بيناهم فى غفلة ووسن ليس لهم بين الورى من رسن
اذ دهمت بين الديار الجلى فالبعض فى الاسرى والبعض قتلى
قد زعزعت بلادهم كفار كان لهم من قبل ذاك ثار
فاستحوذوا على بلاد امتك وقصدهم محو لكل ملتك
حتى غدا كل بنى الايمان اسرى بوسط الدور فى البلدان
ودينهم ممتهن عيانا كما يلاقى أهله الهوانا
فمزقوا وشتتوا واحتقروا وامتهنوا بيد من قد كفروا
فهاهم فى صقعهم لا حولا لا قوة غير دعاء يتلى
وما لهم وجه به يستشفعون الى الاله قط منه يرتجون
سواك ياخير البرايا عنده فأنت من ليس يرد وحده
فليس للمستضعفين غير دعاء اذا مس البلا والضر
فأنت باب للدعا فيستجاب فمن أتى الباب فما اخطا الصواب
بلغ الى نبينا هذا الكلام من بعد أن تقرأ له منى السلام
يقول ذاك والدموع فى العيون كأنما ثرت بمائها عيون
والصوت بالنحيب عال وأنا كدت أذوب لهفة وحزنا
حتى عرانى الجذب فى الحين كما يقع لى متى أجيش ضرما
ثم جرى ما بيننا صموت وساد من تحير سكوت
فلم يكن منى ولا منه كلام بعد سوى مد اليدين للسلام
اذ قرب المغرب فافترقنا واننا بما جرى احترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين فذ ونفاق مختب مكنون
وكيف يرضى مومن أن يحكما أمر ذوى الايمان وال أجرما

جغرافية

آن لنا توديع تونس فقد — طال بها الكلام حتى ينتقد
وهى بحد الغرب نحو الشرق — تحسب من ذا الغرب لا من شرق
ما بيننا وبين مصر سميا — فى ما يقول القائلون افريقيا
وبين تونس وفاس العليا — (أم ـ ٤١) من الايام برا مشيا
من تونس (يه ـ ١٥) الى طرابلس — من هذه (كه ٢٥) لابن غازى ان تقس
(والخاء ٨) من هذى لدرنا العلية — (واللام ٣٠) من هذى للاسكندرية

في طرابلس برقة

فبعد أن مضت لنا أيام — بتونس كأنها أحلام
(يه ١٥) تكون ثم كنت فى الخميس — كريت (بالخاء ٨) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم — سرنا تجوب من أديم أليم
فى مائتين قط من أناس — والفلك قد يقل ألف ناس
فاصبحوا لقلة الركاب — فى سعة وفى رخاء رابى
وان ذا المركب انكليزى — وانه فى الطبع ذو التمييز
وهو يدارى ليس يكلح ولا — يغدر فى وعوده كل الملا
واغدر الناس الفرنسيس فما — يوجد منه من يفى ان كلما
فبعد ليلتين جريا كالفرس — ألقى المراسى لدى طرابلس
أحسن بها مدينة للخير — ما مسها ذيل لاهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر — به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف — يمشون فى مرصوصة الصفوف
تهتز تحته الربا ان جالا — كأنها قد زلزلت زلزالا
يملأ منك العين والفؤادا — كأنما تشاهد الاطوادا
يقدمه عند المسير الرؤسا — واليوم صاح والنهار أشمسا
فيثلجون من صدور المومنين — ويلهبون فى قلوب الكافرين
وان أتوا جميعهم للعرض — والبعض قد وقف جنب البعض
ومالهم من المدافع العظام — تجرها صدور أفراس فخام
وهم صفوف كصفوف الصلوات — وكل صف أهله فوق المئات
فمن هناك يظهر الاسلام — وتعتلى له الذرى والهام
ويعرف الكفار أن الدينا — بعد له جند يدافعونا
يا ليت كل المسلمين كانوا — جندا كذا فيعتلى الايمان
فالدين والقوة لم يفترقا — الا غدا الدين ضعيفا فرقا

فانظر الى حال لاصحابة فما ... فاقوا بغير حد سيف خذما
والله قد قال لنا أعـدوا ... خيــلا وقوة فــذاك الايد
والجند من هناك قد تفرقا ... كل النواحي فيلقا ففيلقا
يحرس ما يحرس أو يعتمل ... والشغل مايبقي القوى والعمل
امتلأت بهم جميع الطرق ... فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كـذا المساجد الى الابواب ... (ما أحسن المحراب فيالمحراب)
نزلت من مركبنا لكى أرى ... من جند هذا الدين ماقد بهرا
وان أرى ما قد أعد فيه ... من قوة الدين بلا تمويه
من بعد ما شاهدت مركبين ... قد أرسيا فى الثغر معجبين
وفيهما المدافـع العظـام ... قد رفرفت من فوقها الاعــلام
كانا كما قد قيل مما يلزم ... منخوف أن يهجم من قد يهجم
صنعة واحـد مـن الحديد ... قد قاله ذو بصر حديـد
ومركب ءاخر يمضي ويجي ... يركبه الجند ذهابا والمجى
وكل حين جندهم يبـدل ... بغيره كى لا يكون الملل
خمس سنـين ذاك الجندى ... يبقي كـذلك وذا المروى
قالوا غدا ذلك فرضا لازما ... بأمر من كان عليهم حاكما
ومثل ما كان عليه هؤلا ... هو الرباط عند كل من تلا
بشراهم بجنـة مزخرفة ... ومن يحبـه الاله شرفـه
سرت أجول فى أزقة وفى ... أثنا المساجد التى للسلف
أشاهد الهمم كيف تفعـل ... والبذل للاموال كيف يعمل
فهى مكان الدين والعلوم ... والخير والايمان من قـديم
وهى بلاد الحرث والنخيل ... وما يحب الخـل للخليـل
تمشى بنخل خمسة أو ستة ... فلا يكاد ينقضي بالستـة
صليت فيها الظهر والعصر معا ... وزرت أهل الخير فيها أجمعـا

الشيخ المدني الدرقاوي

جالست فيها عالما مفضلا ... يظهر أنه من أصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق ... مـع تواضـع لدى التلاقى
فزار بى زاوية الربـانى ... المدنى العارف الصمدانى
وعمدة من عمدة الدرقاوية ... ذات النجوم والبدور الضاوية
فهو الذى مشى بها من مغرب ... لمشرق من الامام العربـى
أصلـه من مدينة الرسول ... قام يجول طالب الوصول
(يطلب شيخا عارف المسالك ... يقيه فى طرقه المهالك)

فكــان خائضا لذاك طرقا — حسا ومعنى عله أن يلحقا
لاقى شيوخا كلهم تصدروا — لكنهم ما أوردوا ما أصدروا
حتى انتهى الى الامام العربى — شيخ الوصول فيديار المغرب
فوصل المطلوب عنده كما — تقصد كف عند ماكل فما
أخذ عنــه الشاذلية التى — صفت فصفت قلبه بالهمة
صحبه (حاء ٨) من الاعــوام — حتى غدا كالبدر التمــام
فقــال شيخه له وداعــا — يا مدنى فأنت طلت باعــا
فلم يعد لك لدى من فتيل — فقد غدوت اليومخريت السبيل
فبعد ما قد غاب عامين رجع — وطرفه بالشوق ما قط هجــع
فاذ رءاه الشيخ قال له ما — ظننت أن ألقاك ياشمسالسما
ثم بقى حتى قضى الشيخ وقد — قامالى أن صار فىوسط اللحد
وبعده ازجى الى طرابلس — ركابه فصار شيخها الندس
وفى حياة إشيخه أبى الظهور — وان له أذن فى كل ظهور
أبى تأدبا واذ مات بدا — من نوره ما الظلمات بددا
فكان فى تلك المدينة على — ارشاد ارباب القلوب للعلا
وبعد حين أم نحو مصر — ثم الى الحجاز خــير قطر
فمن هناك شاعت الطريقة — عنــه بكل الشرق بالحقيقة
وهو الذى جدد ما قد جددا — ممــا أغار سره وأنجــدا
ونهجه حقا على الدرقاوية — وان تسمى عندهم شاذلية
وقد تضاف للمدينــة لمــا — يسكنها من مد منها علما
ونجله شيخ كبير فى الحياة — مازال موصوفا بأفضل صفات
ألف فى الطريقة المئــاثرا — للشاذلى صارت له مئاثرا
أخــذ عن والــده الطريقــة — شرب منه الصحو والحقيقة
والــده ولـــده بالصلب — وبعــد ذا ولــده بالقلب
وهو لــذا العهد باصطنبول — يرفع فيها راية التوصيل

شـدة البحــر

ثمت لم أجس لدا طرابلس — كما أشا ومن يعجل لا يجس
فى اليوم نفسه بعيد العصر — رجعت رغم الانف نحو البحر
فسار فلكنا عــلى الدأماء — كأنه فى الجــو لا فى المــاء
والموج قد جاش بكل جانب — والبحر يكلح بوجد قاطب
والماء كالهضــاب والرياح — تمدهـــــا كأنهــا رمـــاح
والبحر فى الطمو والازباد — والفلك يمخر على الاطواد

فلجة في وسط وأخرى — تلحق منه الجنب ثم الظهرا
فتارة يكون فوق نجد — وتارة يكون تحت وهد
وكل روح تبلغ التراقي — من رجة المستفحل الخفاق
جنوبنا تميل لليمين — ثم الى شمالنا في الحين
فمر ليلنا كليل أرمدا — فلم نكد نأمل بعده الغدا
وذلك البحر الشديد يذكر — متى غدا المركب فيه يمخر
كم من سفين غرقت في قعره — وقاطع لكن بعيد ذعره
فذاك أصل المثل المشهور — الشائع الذائع في الجمهور
يقال فيه (غرقة أو برقة) — المثل المضروب في المشقة
مقصودهم أن غرقة" في البحر — ولا أذى برقة وسط القفر
لان برقة يلاقي القاطعون — مشقة جلّى بها اذ يقطعون
من عطش ومن حفى ومن وجل — ومن سباخ سائخات والوحل
فالبحر يغرقهم بالمسرة — والقفر يؤذي كرة فكرة
هذا ولم نقطع عباب البحر — حتى رأينا كيف وقع الذعر
والقيء والميد على الركاب — تسلطا بالسقم والاوصاب
سواى مع ناس قليلين حمى — من شاء من هذا البلا وسلّما
لم نر في ذاك جميعه أذى — ولم يمس جفننا أي قذا
فنحن في القيام للصلاة — مع الوضوء أول الاوقات
وذاك فضل ربنا علينا — أولاه من تكرم ومنّا
فمن يعد نعم الاله — فليس يحصى عدها والله
ثمت بعد قطعنا الشدادا — في البحر عاد حاله معتادا
سرنا وبرنا الى اليمين — نلحظه بنظر العيون
وبعد ما غاب تبدت السما — والماء لا غير فنرعى الانجما

في الصعيد

ولم نعرج نحو مرسى قبل أن — يربط في الصعيد فلكنا الرسن
فلم نر الرفع للاسكندرية — ذات رجال من شيوخ الصوفية
مرسى الصعيد هو مرسى مصرا — به بجمعة مسسنا البرا
وبينه زاى (٧) وبين القاهرة — وللسويس دال(٤) في المسايرة

قناة السويس

ثم يلي بر لقطر الشام — بهجة كل مدن الاسلام
من الصعيد لمدينة الرسول — كاف (٢٠) برارى ولا بحر يحول

قبرنـا ببر مكـة اتصل ... وبحرها عن بحرنا قد انفصل
بحر السويس يبتدى مجراه ... لـدى السوادين ومنتهـاه
وبحرنا هـذا بهذى السنوات ... بذاك قد وصل حفـرا سنوات
قد حفروا البر الذى بينهما ... مقدار مجرى السفن فامتلا بما
فاتصل البحران ما بينهما ... ما أعجب العـزم من ابن ادما
مقدار يومين الـذى قـد حفرا ... طـولا بعزم عـازم ما انفتـرا
وذاك فى أيـام اسماعيـلا ... كان بمصر حـاكما جليـلا
وذاك مـن عصر قـريب جـدا ... ومن يكد لا يضيع الكدا
وكل من يسمع بالاعمـال ... وما درى الهـم من الرجـال
يكذب المخبر لكن مـا وقـع ... ليس بمنبوذ بنبذ مـا سمـع
لـذ ايقال كل من لـم يجـل ... ليس بعاقـل ولا برجـل
لكونه لازم حِفْش أمـه ... فقاس عـزم غـيره بعزمـه
كـم من رجال وكنوز وحـديد ... انفق فى حفـر لذلـك المـديد

مصر ونيلـه

ومصر قطـر الحرث والكنـوز ... فضلا عـن الجمال والمعيـز
ونيلهم يفيض وسط كل عـام ... من السودانين بفيض ذى التطام
يسيل فى بلادهـم جمعاء ... يغمر كـل حرثهم بالمـاء
لذلـك ليسوا يرتجون مطـرا ... ولا ترى للجدب فيهم أثرا
أغنى عباد الله حقا كانا ... سكان مصر عرفوا أزمانا
فمثلهـم مـن يوصل البحـورا ... بمالهم فـلا يـرون بـورا

إلى جدة

ولم يقدر أن أزور مصرا ... فلم أفارق بعـدها ذا البحرا
حتى نزلت بالحجـاز الازهـر ... فى بر جـدة المنـير الانـور
وفلكنـا أقـام فى ذا المـرسى ... يـنزل أو يرفـع منـذ أرسى
فبعد مغرب مشى برفـق ... بنا بقنديـل بذاك الفتـق
لكونه الضيق مثل الوادى ... مـزرب الاطـراف بالاوتـاد
لتدفع الرمل فلم يزالـوا ... توسعـا تزحزحت الرمـال
وقطر الجمال بين الفلوات ... لـدى الرمال جائيات ذاهبات
وبعد عصرنا رسا فى البحر ... بحر السويس عند نحر البر
هناك مغرق الـذى قد ادعـى ... أنه رب الخلق بين المدعى
قد جاز موسى البحر اذ له انفلق ... وقومـه والرب ذاك فى الغرق

رب ويغرق فذاك عجب ... أم انه تكبر وعجب
فرعون يا ذا القولة الغريبة ... ما زال تنتك كنتن الجيفة
من بعد ألفين من السنين ما ... زالت نتونة الغريق بين ما
ومن يرد اهلاكه رب الورى ... فانه عسم وان تبصرا
يا ربنا أهدنا ودم علينا ... هداية الدين التى رأينا
فى الليل بعد يومنا سار بنا ... مركبنا كالنهر ألفى رسنا
يمخر فى بحر السويس الاحمر ... بذاك سموه كما فى الاشهر
ومنتهاه ببحار أخرى ... متصل أنبأ بذاك الادرى
والبر للحجاز فى يسارنا ... وفى يمين تترك السوادنا

الاحرام بالحج

فحين جاز الفلك رابغا أشاد ... بذاك للغسل باحرام العباد
فازدحم الانام حول المغتسل ... فلا تسل عما يعانى لا تسل
فأعلن الحجاج بالتلبية ... من بعد اخلاصهم للنية
فصرت تبصر الجميع جردوا ... رغما ولولا الحج ما تجردوا
ثم أداروا حولهم مثل الكفن ... والرأس عروه كما كان يسن
تقبل الله لنا الاعمالا ... وأخلص الاقوال والافعالا
بعد ثلاث كلها فى البحر ... والفلك ليلا ونهارا يجرى
بدت لنا أعلام منزل الحبيب ... فكل قلب فيه خفق ووجيب
أشد ما يكون شوق من مشوق ... اذا دنت داره من دار الصديق
بدت لنا وكلنا زفير ... جاشت بلفح ناره الصدور
ديار جدة التى نقصدها ... وفى جوارها اضأ نردها
أرسى بنا المركب فيها ونزل ... جميع من فيها وما معه عزل
فبعد ما طاب بنا القرار ... طار الى جدتنا الهزار
فهى هناك قبرها مطول ... قاف١٠٠وعرضها ب دال٤ يقبل
قد استدار حولها محوط ... وقبة يحمل منها الوسط
زرت هنالك بنية لها ... والله يعلم فقط أحوالها
وفى مساء الغد سارت قافلة ... لزمرة من الحجيج حاملة
على متون النوق قاصدينا ... أم القرى فى الله راغبينا
وهم يلبون بصوت اختلط ... من بينهم فهل رأيت السوق قط
والشوق يحدو نوقنا كأنما ... قد كان كل جمل متيما
تمد فى الرسيم والذميل ... أعناقها كصفحة الصقيل
ولست تسمع لخفها سوى ... ركز خفيف وقعه ان استوى

تهزنا كأننا فى الذكـــر والشوق للمذكور فينا يسرى

يا ليلة تسرى بنا المطايا فيها لكى تقضى لنا النوايا

حييت منى ليلة محببه أدنت الى مكة المحببة

وفى الصباح نزل الحديبية أصحابنا أضعاف أضعاف مية

وهى تسمى حدة فى اليوم بذاك يدريها جميع القوم

هناك موضع رضى المنـان عن صاحبى الشجرة الشجعان

أيام ان زحف سيد الورى الى قريش ساكنى أم القرى

قد جاءهم معتمرا ولكـن قد منعوا أن يلج المساكن

فعسكروا فى خارج وقالوا دخولـه ديارنا محـال

فارسل النبى لم نجىء سوى معتمرين لم نرد حرب السوا

فانفـوا أن يسمـع الانام ان قد حواه البلد الحرام

فسفرت ما بينهم رجـال فكان من كل فريق قال

وبين ذلك مضى عثمـان نحو قريش وله الايمـان

ليقضى الغرض للرسول اذا بـه منع من قفـول

فقام سيـد الورى فمدت كف شريفة لـه فامتدت

فبايع الصحاب تحت الشجرة عـلى محاربتهم للكفـرة

فكان من هناك أظفر الورى بخير ما يحوزه من ظفرا

فازوا برضوان من المهيمن وذا الرضا منية كل مومن

وبعد أهل بدر كانوا أفضلا ياسعدهم حازوا الكمال والعلا

وبعـد ذا راجعهم عثمـان ولم يمس عنـده بنـان

فتمت الهدنة ثم رجعـا سيد من صلى وصام ودعا

صلى عليه الله ما حن محب الى الحبيب ما بدا برق يجب

وفى المساء ذلك النهـارا جلنا بظهر الاينق المهـارا

وعندما مر من الليل هزيع وقدذكا الشوق بأوساط الضلوع

حطت ركابنـا ازاء بير قبتها من فـوق كالسرير

وذاك ذو طوى الذى قد اشتهر ان كنت فى(المرشد) أوفى(المختصر)

فاغتسل الناس اغتسالهم بلا دلك كما عن النبى نقـلا

فاقبل الناس وشوقهم يفور كما تفور فى التنانير القدور

والدمع فى الخد ودكا لامطار والشوق فى الحجاز من أسرار

وكل من يكون بينهم فلا تراه الا ناهـدا أو معـولا

هنا تلين صخرة القلب اذا قسوته أبدت لربها الاذى

سارت بنا الاينق اثناء سحر والشوق أدهى ما يكون فى السحر

وقد قربنا من هضاب مكة ... وقد رأينا في المسيل ايكه
ونسم الجو تهب بشميم ... عرارها وانت تدرى ما النسيم
فلا نقول انه نجدى ... بل انه حرمى مكى
فحبنا في مكة المحرمة ... وبيتها وان نزور حرمه
عند طلوع الفجر عم الفرح ... فكل صدر بالمنى منشرح
والقلب في شغافه يرفرف ... اذ بان بيت ربنا المشرف
زلنا عن الاكوار والبشر غلب ... كأنما نشرب من بنت العنب
فسارت الاقوام والاشواق ... طارت بها الصدور والاطواق
والشوق يحفز ولكن الادب ... في ذلك المقام مما قد وجب
فأطرق الرأس حياء والخطا ... قد استعارت سيرها من القطا
انكشف الغطاء وانجاب الحجاب ... فظهر البيت الحرام في حجاب
فالقلب في فرحه مستغرق ... سكران مما قد دهاه يخفق
ودهشة الوصال للالباب ... معروفة عند ذوى الاحباب
وربما ياتى البكا لدى الفرح ... كما يجى الضحك في وقت الترح
ووصف ذالك الذى يذاق ... ان موزجت بالوصلة الأشواق
بروضة عند ذوى الاذواق ... ذلك ما دق عن الاوراق
فالمفظ للاوراق أما المعنى ... ففى القلوب ان تكن ذا معنى
ما كل ما كان يقال لا ولا ... ماكل ماقد قيل يلقى في الملا
جبنا البحار والبرارى لنرى ... فهؤلاء نحن في أم القرى
وذاك بيت ربى المفضل ... حللت منه عند خير منزل
يعلوه من سنا ومن أسرار ... ومن تجلة ومن اكبار
ما كان سر الله في تفضيله ... مما يرى الحاج لدى نزوله
فهو وان شيد بطين وحجر ... شرفه الله بسر استتر
مثل بنى ءادم أصلهم تراب ... لكن ما فيهم من أعجب العجاب
خلقهم من حما مسنون ... لكنه ميز بالمكنون
وذاك كله بسر الخالق ... ياويح من يكفر في الخلائق
فذاك البيت وكل مسجد ... قد جللت بنور سر سرمدى
وذاك بالقلوب لا العيون ... مشاهد لا تك بالمفتون
أطوف بالبيت ورأسى مطرق ... اطرق بالخضوع بابا يطرق
فذلك المحل للخشوع ... ولبكاء العين والخضوع
وللتضرع وللالتجا الى ... مولى الموالى ملتجى كل ملا
وذا محل العطف والاقبال ... وذا مقام المن والافضال
يبسط كل القاصدين الكفا ... وقد أتى الجميع صفا صفا
يستنجزون وعد من دعاهم ... للجفلى ووعدهم محتم

وليس قصدهم جميعا الا   رضوانه يلقى عليهم ذيلا
وذاك سر الحج للبيت كما   قد كان سر قصد مسجد سما
اذ كل ما ينسب لـلالـه   فهو الوسيلة بـلا اشتباه
فالقصد ان قصد بيت اللـه   القرب منه يا أخا انتبـاه
اذ كل ما قصد فى الاشياء   يرسخ فى الحجا بلا امتراء
فالبيت لم يغند بالمقصود   الا دلالـة عـلى المعبـود
كذاك سائر الذى يضاف   لله فالقصد بـه الاشراف
فمـا أضافـه لنفسه فلم   يحتج اليه فهو خالق الامم
لكنما المقصود أن تحترمه   وان نعد حافتيـه حرمـه
وذاك كلـه لكـى ينتفعـا   من حج أو صلى فتاب ودعا
لاننا جميعنا ذوو شهـود   لم نك ندرىغيره فىذا الوجود
ثمت ان سرنا على ما رسما   نرقى الى ذاك الذى ينفى الظما
فانمـا الارواح بالاشباح   وانمـا الاشباح بالارواح
دور ولكن ان علمت اننا   هما معا يزول عندك العنا
فكم وكم غفل عما ذكرا   من زل فى حضيضه ما شعرا
فذلك المعنى وذا الطريقة   عنـد الشريعة مع الحقيقة
يا ربنا يا ربنا يا ربنا   تمم لدينا منهما كل المنا
نزلت قرب مسجد الحرام   فكنت فى المورد مثل الظامى
أشاهد الانوار فى السرج تنير   منه وفى الفؤاد أخرى تستنير
اضواؤهـا مثـل نجوم الغسق   كـأنها مقتبسات الفلـق
وبعد ما أوعيت من متاعى   فى منزل أملت من شراعى
يحدونى الشوق الى الطواف   والورد من مازمزم الشافى
أطوف حينا واعب ءاخرا   فتلك جنتان بالقلب أرى
دخلت من باب السلام أولا   وطفت بالبيت الطواف الاولا
وبعد ما أتممت سبعا سرت   الى مقام الخـل فاستدرت
والبيت شامخ الى السماء   مـربـع متسع البنـاء
مرتفع الباب بقرب الحجر   قبل مشرق الضحى والقمر
ملتزما يدعى الذى بينهما   فليدع فيه بالمنى من يمما
والبيت تكسى كسوة الديباج   تجىء من مصر مـع الحجاج
فى وسط المسجد فى فضاء   متسع من كل ما الارجاء
حدبنـا مسجده صفان   فى كل وجه أول وثانى
والغيـر صحن كله فضاء   تحرق فيه الارجل الرمضاء
ولا تكـاد تستبين مـن ترى   فى كل وجهة امام وورا
من سعة المسجد ثم زمزم   بـير لهـا قبتهـا تحترم

ميسرة المقــام منزلتهــا   قد جاوزت مطافهم قبتها

حد الطواف عندهم معلوم   وبرخام بـــين موسوم

والليل في المسجد كالنهار   كان نار السرج من أنوار

وكل ما فيها من المصباح   يمتـد ضـوءه الى الصباح

أظل فى زمزم ممن يكرع   حتى يكون لى به تضلع

واحمد الله على استحلائـه   فلم أكد أروى لدى احتسائه

فكان مـا دمت هناك مشربى   وشربه كل انا مستعذبى

ثم ملأت كل مـا تيسرا   منـه فأوعيته فيما ادخرا

وبعد أن طفت خرجت للصفا   ومروة أطلب فى ذاك الصفا

وبعد هذا السعى ذلك النهار   جاء الالى قد فارقوا فوقالبحار

قـد فارقوا فى طنجة الفيحاء   ونحن اذ ذاك على الدأماء

فاجتمع الشمل على الاطلاق   فـى الحس والمعنى بلا شقاق

وفى جميع الليل والنهار   وفى الاصائل وفى الاسحار

واننى هناك فى مراقبة   كما يرى الحجاج طرا قاطبة

بسبعة الاشواط كل وقت   وقلبنا فى الله لا فى البيت

وقـد تجلى ربنـا للقلب   فـذاك بيته بغـير ريب

ما ذا الذى يبقى اذا تجلى   سواه عز شأنـه وجـلا

والقصد بالطواف للبنية   تعلق بخالـق البريـة

وفى الحرام حضرة للشاذلى   معمـورة الابكار والاصائـل

فربما كنت بها مستغرقا   وكان سر الله فيها مشرقا

فغابت الكعبة فى الشهود   فما لها من بعد من وجود

كأننا بغيرها من غير مـا   فرقلدىاستغراق قلب فاعلما

وذا مقام ليست الاخبـار   تنبئك عنه لا ولا الاثار

لكـن ذا البيت لمن أتـاه   ذكـره الالـه ان ر ء ا ه

أول بيت مخرج للنـاس   مبارك الذاكر بل المناسى

مكـة أم للمعالى، والقرى   أعلى مكان منه سيد الورى

لازمت أصحاب الامام الشاذلى   وهم اباب نخبة أماثــل

فليس لى الا المبيت عندهم   والقلب والكف أصابا رفدهم

وسيد منهم يفيض بالكرم   كأن راحتيه من احدى الديم

فى كل ليلة وكل يـوم   كأنه الشقيق بـين قومى

بفرش مرفوعة وبالوساد   فىموضع خاص كما هو المراد

فهـم يبيتون عـلى الاذكار   الى طلوع الشمس فى النهار

قاموا الى الطواف هـذا دأبهـم   فضلهم على سواهـم ربهم

صادفنى يومـا هناك رجل   ومثلـه يقال فيه الرجـل

لقيتــه هناك عنــد الحجـر
وكان قــد سبقنى فى السفــر

ثــم صحبتــــه لزاويتهــم
فكنت أرتــع لــدى روضتهــم

أسسها شيخ همام فــاسى
على التقا بأفضل الاساس

أخــذ عن ذاك الذى قــد ذكرا
انــه قد أخذ عن شيخ الورى

العــربى سيدى الدرقــاوى
من يغسل النفوس من مساوى

وقــد ذكرنا أنه بالمــدنى
يعرف فى القرى وكــل المــدن

وعنه أشياخ هداة الناس
من بينهــم هــذا التقى الفاسى

فكنت أحضر بكــل يــــوم
فى حضرة معلومــة للقوم

فمذ رأوا ذوقــى لعلــم القــوم
والرأى غالبا يرى من زعــم

عضوا على بالنواجذ ولــم
يرخوا بها فاستسمنوا رب ورم

حتى ليمنعوننى مــن الطــواف
لكثرة امتزاجهم والالتفــاف

فقال منهم لى فتى ظريف
ممن له بى معلق شريف

لا تتخلفــن عــن مجلسنا
ولا تكونن سوى مؤنسنا

فكنت أرعــى لهم الآدابــا
فالخــير فيما يبهج الاحبابا

صادفت مــرءا فى الطريق لمــا
خرجت من باب السلام يومــا

فقال لى لابد أن ترشدنى
فخالقــى نحــوك قــد أرشدنى

فكم زمان قــد مكثت ها هنــا
أطلب حتى قــد حبا الا هنــا

فخــذ يــدى لله يا أستــاذ
فــأنت لى الملجــأ والمــلاذ

يا طالمــا أطلب شيخا مرشــدا
يمد لى نحــو المقامــات اليــدا

اطلب ذا السر جوار البيت
ومن له الاذن بهذا الوقت

فأنت من أطلبــه بــلا خلاف
لمــا رأيت منك من سر ائتلاف

فقلت من أين أتاك الظن
طلب من غــــير الحليب السمن

فقال عندى شاهــد رأيته
بالقلب بــل بالعين قــد عاينته

كنت اذا دخلــت للحــرام
تجىء بالنــور الى الانــــام

ولا يكون غير ان كنت به
وذا عــلامــــة ولى ربــــه

أقمت فى مكــــة أربعينــا
يوما وأرجــو لو غــدت سنينا

قد استراح القلب فيها والجسد
واننى أشعــر دأبــا بالمــــدد

وقــد وقفنا يومنا فى الجمعــة
والخير حقا كله قد جمعه

مع اختلاف الناس فى يوم الوقوف
وفى اختلاف دائما كل الحتوف

ثم أعدت وقفتى للاحتياط
أنــا وكل من الى قــد يناط

وسر مكــة جليــل ظاهــر
ونورها لكــل قلب باهــر

أقمت بالافراح فيها حينا
مقدار ما مكن لى تمكينــا

أفضل مــا رأيت فيها المــرض
من بعد ما بالحــج تم الغــرض

كل مصيبة مــع الشعــور
بالـلــــه فهو رحمة الغفور

أصابنا مع طلوع عرفة ... وقبله لم نك ممن عرفه
ثمت دام بعده أياما ... يلم بي ءاونة لماما
لكن أخي الشقيق عبد الله ... قدس روحه بفضل الله
لوى به مرضه للقبر ... فكان في ذاك جميع السر
ليغفر الله له غفرانا ... يسكنه بفضله الجنانا
قد كان أجره على الاله ... على الذي قال كلام الله
رأيت بعد الموت في المنام ... رسالة من خالق الانام
الي فيها كتبت تعزية ... صريحة ولم تكن تورية
وكنت مذ دخلت مكة على ... شرب لزمزم دواما عللا
ثم ملأت كل ما أمكن لي ... من الاواني حيطة للقفل
وزرت كل تلكم المشاهد ... ما بين صادر وبين وارد
كغار ثور وكغار في حرا ... وكديار للصحابة ترى
فمسكن الرسول قد دخلنا ... كذاك مولده حقا زرنا
كذاك مسكن أبي قحافة ... والد من صال بلا مخافة
هذا وجند الملك الخليفة ... مدبر المملكة الشريفة
يكثر ما بين الحجيج جدا ... صيره دون النزاع سدا
ثمت فارقت واعيني ترى ... رغما على أنفي سنا أم القرى
وان في من بقايا مرضي ... بقية لكنها في مضض
فلست أطعم ولست اشرب ... فمسني مما أعاني النصب
وبعدما بلغ سيله الزبى ... شربت ما تركته مما مضى
من الاناي فوجدته دوا ... فانتعش الجسم به لما ارتوى
فتركه أبرمته على الدوام ... مخالفا للنفس في كل مرام
فحل ما عقدته الاله ... فهل يحل عقدا سواه
فكم وكم رغبنا الاحباب ... في شربه ان حضر الشراب
وهكذا العبيد في يد القدر ... ما أعظم الله وأضأل البشر
ثمت لم تزايل الاضرار ... حتى بدت لطيبة الانوار
فلم يسغ ماء لحلقي فيالطريق ... الا اذا مازجته مع السويق
لكنني لما وصلت طيبة ... برئت مذ شربت منها شربة
فالحمد لله على السلامة ... فانها لذي ضني كرامة
رجع الى تتبعي للرحلة ... من بعد ما وصفت هذي العلة

مغادرة مكة

خرجت من مكة في الاثنين ... (يط) (١٩) لحجة بغير مين
فبات ركبنا بوادي قاطمة ... والنفس تأثير الوداع كاظمة

وقد تركنا القلب في البطحاء ... بمكة العاطرة الارجاء
ثم نزلنا ثانيا فضاء ... فيه قضى شقيقنا الحوباء
ثم الى رابغ يوم السبت ... لعدم المشى بكل وقت
من بعد ليلتين فيه حتى ... أدوا عن النوق فلوسا شتى
والركب لايمشى سوى النهار ... تمهلا فى السير والقرار
مخافة وحيطة للضعفا ... يقف ان بعضهم تخلفا
ان مات واحد أو ان ضاع جمل ... يقف حتى ينتهى من العمل
مقدم الركب فمن طرابلس ... أسعدنا الحظ به وهو ندس
فهكذا صارت بنا الالطاف ... فلا لصوص لا ولا خلاف
والفصل في حجتنا فصل الخريف ... كأنما نسير فى الظل الوريف
وبين مكة ورابغ أربعة ... ان كانت الرفاق فيه مسرعة
ورابغ فيها النخيل يغرس ... ومركز فيه الجنود تحرس
من بعد (يا)(١١) وصل ركبنا الى ... بدر فحاز فى المياه الاملا
عيونه تثر بالمياه ... كما يثر منه سر الله
وفيه أيضا من كثير النخل ... وغيره من أدوات الظل
وبين بدر ومدينة النبى ... قد هيج شوق بنسيم طيب
وفى مسير طول يوم توجد ... مداشر والكل فيه مسجد
ثم الى الحمراء حيث بير ... تنسب للعباس لا تغور
فبير عامل لدى الجبال ... حفره العامل بالافضال
فذى الحليفة فبير لعلى ... فحفز الشوق العظيم المعتلى
فاننا سرنا على الفيافى ... على وفاق لا على خلاف

المدينة المنورة

فاليوم قد دنت ديار للحبيب ... فالشوق ثار بالبكاء والنحيب
وحين لاحت طيبة وفاحت ... عطورها ترى القلوب باحت
فقد تراءت راية المدينة ... قبيل ذى الحليفة الميمونة
مسافة من الزوال للغروب ... فرفرفت بين الجوانح القلوب
فكنت من رؤيتها سكرانا ... ولتوهج السنا ولهانا
والركب فى الاكوار كالاطيار ... بالشوق والافراح والاسرار
فمنهم ذوو الصياح والبكا ... ومنهم ذوو الغنا وذو اشتكا
وكيف لا وقد رنوا معالما ... لمن حوى فى سره العوالما
محمد أفضل صفوة الانام ... حبيب كل مسلم له هيام
اليه أكباد النياق تضرب ... وذكره به القلوب تطرب
ولمقامه السفين تمخر ... بزائريه عن غرام يزخر

فأى عين تملك الدموعا — وأى قلب يلزم الضلوعا
فهذه ديار من أحيا الهدى — بدينه حتى اهتدى من اهتدى
خير الانام كلهم وخير من — بكل اصفاء المحبة قمن
لانه وسيلة الانام — وسيد الملائك الكرام
فى عالم الذر به الارواح — قالت بلى ولم تك الاشباح
لولاه لم تكن لها القوى على — خطاب ربنا بلا ولا بلى
وكل شيء من سوى الاله — بسره فلا تكن بلاه
وهو الخليفة على الحقيقة — بلا وساطة ولو دقيقة
خلافة سابقة فى الازل — وذاك من قبل الورى فى أول
حيا وميتا على الاطلاق — فهو الخليفة بلا شقاق
ومن أتاه شبه الخلافة — فهو بنسبته كالخرافة
وهو الصراط المستقيم للجواز — وهو الحقيقة وغيره مجاز
وانه مع كل ذا لعبد — لربه الفاعل لا مرد
فالعبد عبد دائما والرب — رب الجميع وحده لا ريب
وساكن المدينة المنورة — مرءاته بفضلها منورة
وذاك من فضل محمد الذى — يشرف كل من هداه يحتذى
مادحه ليست له احاطة — حتى لسان الدين فى غرناطة
وكل من يروم أحصا فضله — يغرق بالامواج بين سبله
فالحمد لله الذى قوانا — حتى بطيبة نرى منانا
دخلتها وقت الضحى مستفتحا — بكل خير بسنا وقت الضحى
وقد عرتنى هيبة المكان — مستشعرا قدر النبى العدنانى
مستحضرا كل الذى مر هنا — بالوحى من حول السيوف والقنا
مستحضرا تموجات الصحب — من حوله فى غزوات الحرب
وانهم قد وهبوا فى الله — أنفسهم بهيبة الاواه
فلم يزالوا بعده فى نصر — اسلامه فى كل قطر قطر
حتى اهتدى من كان حظه الهدى — فبلغ الدين من الارض المدى
يا قلب هذا منزل الرسول — ممشى محمد أبى البتول
ومنبع الاسرار والانوار — ومنبت الاخيار والابرار
هذا محل هيبة الجبابر — ومجثم لقائدى العساكر
وهيبة الايام والاسحار — وهيبة الاشجار والاحجار
وهيبة البحار والبرارى — وهيبة الارياح والاطيار
وهيبة للثقلين الانس مع — جن وسكان السماوت جمع
يا قلب هذا سيد الاحباب — ممد كل الرسل والاقطاب
حمدا لمن يسر هذا الموقفا — نطلب أن يكون موقف صفا

دخلت من باب السلام مسجدا   هيبته تقطع قلبي قددا
حتى مثلت قبل الرسول   رفقة خادم لدى الجليل
فقلت ما وافق تلك الحضرة   منتعشا بكأس تلك الخمرة
فكان ما كان من الاسرار   والخير والافراح والانوار
فما اشتهت نفوسنا قد كملا   فالحمد لله الذى قد أفضلا
صرت أصلي عنده عليه   مخاطبا موجها اليه
فكنت أطلب له استقامة   في الدين والدنيا مع السلامة
فقيل لي ان جميع العمل   عملته قد حاز خير أمل
فاطلب من الله رضاه الاكبرا   تحز به مما تريد أكثرا
فصرت أطلب الذى أمرت به   ولم أكن لولا الندا لانتبه
فالحمد والشكر على التنبيه   لنا من الموصوف بالتنزيه
أقمت في المدينة المشرفة   ارتع منها في ربا مفوّفة
سبعة أيام مضت كلمحة   أسبح في الانوار خير سبحة
أزور فيها مشهدا فمشهدا   بعد البقيع زرت أيضا أحدا
حيث الشهيد حمزة الضرغام   عليه من خالقنا السلام
كما رأيت في البقيع كل من   على صيانة التراث يؤتمن
كسيدي العباس والبتول   وكل أزواج النبي الرسول
وقبر ذى النورين عثمان ومن   هناك مثل مالك خير اليمن
وقارئي القرءان نافع كذا   كل الصحاب طهروا من الاذى
فرضي الله عن الانصار   كذا المهاجرون بالفرار

مغادرة المدينة

وحين جد الجد للرجوع   وكل عين ثرة الدموع
والقلب يرتجف للوداع   والركب للخروج الآن ساعي
وافق يوم عاشر المحرم   ويا له من يوم بين أيوم
فتابع الركب المسير في الغد   والطرف ينظر لجو أسود
فبعد أن وصل للينبوع   وربعه يموج بالجموع
فركب القوم الى (الصويرة)   فتابع الفلك بنا مسيره
وذاك في (كب) (٢٢) من المحرم   بقدر (يب) (١٢) من ريال معلم
وذكروا بان ذا الكراء   في العام يرخص ولا غلاء

تحت الحجر الصحي في الطور

وبعد يومين رسا في الطور   مركوبنا بأحسن المسير

وجبل الطور قريب لهنا برحلتين وصله بلا عنا
فنزل الحجاج للقباب فخلصوا المطلوب عند الباب
وذلك الانزال عندهم شهير للطب حتى لا يكون ما يضير

قناة السويس

وبعد يومين رجعنا السيرا بالفلك للسويس فاستقرا
ثم قطعنا الترعة المشهورة في ظلمة بسرجنا المنيرة
ثم الى بر الصعيد ينظر من حولنا وفلكنا قد يمخر
وبات ليلة هناك وغدا أرخى العنان فاستثار الزبدا

البحر الابيض فالمحيط

فصار في البحر الكبير يجرى جرى الفلو السابح الاغر
فودع المشرق ذا البهاء والفضل والسنا مع السناء
ومهبط الوحي ومثوى الانبياء والبيت والقدس ومجلى الاولياء
وحيث خير الانبياء في الحياة وحيث يؤوى قبره بعد الممات
وسره بين الحجاز واضح حيث سنا القبلة فيه لائح
وأفضل الاسرار أن قد حفظا من كل ذى كفر ، ومن جا لفظا
ألوية الكفر هناك تندحر بل لا ترى الاسلام الا منتصر
مع عموم الكفر تونس وفى جارته وهل تراه يكتفى
فحب مكة مع المدينة صيرنى بدينه مدينه
سلب من قبل وبعد لبى منذ عرفت بالفؤاد وبى
فأولع القلب بأن أراهما لكى ترى العينان في مجلاهما

تمام الرحلة

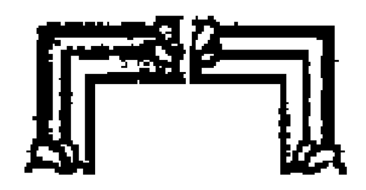
فاليوم كمل الاله مقصدى حتى حمدت مصدرى وموردى
فها أنذا راجع بكل ما أحسبه مثل شراب قدما
لَجَّج فلكنا بنا للمغرب يجرى بنا كجرى طرف أشهب
فبعد خمسة وصلت (مَلْطة) ولا نرى من شدة أو ورطة
ومثلها لطنجة الفيحاء بلا مشقة فلم نعان مللا
قد سهل البحر بفضل الله فليس في الركاب أى واه
وانها لنعمة عظيمة فلا فجيعة ولا أليمة
وكم وكم من سفن الحجاج أتى عليها البحر بالامواج

وبعد ليلتين من طنجة جا	مرسى الصويرة فكان فرجا
فى اثنين والعشرين قد وصلنا	فى مثل يومنا الذى ركبنا
ففرح الاحباب أكبر الفرح	فانتعش الروح لديهم والشبح
منها لنا قد ابتدا الذهاب	ثم انتهى منها لنا الاياب

* * *

انتهت الرحلة المباركة • وقد عاينت من تخريجها الامرين • وربما اقتبست المعنى فى بيت فصغته من جديد • ولكننى على قدر جهدى أحافظ فى الكثير على أقوال الشيخ ما دام البيت سليم الاعراب والعروض • وربما حذفت بيتا أو أبياتا أرى منها تطويلا بلا فائدة • وقد وقع بعض ذلك قبل اختتامها • وقد كان الاصل بخط الشيخ الذى خَرْمَشَه على عجل فى سفره ثم لم يراجع ذلك بعد ولهذا شذبتها وهذبتها حتى صارت كما يراها القارىء فرحم الله الشيخ وألحقنا به مسلمين انه سميع مجيب •

كتبت هذه النسخة بعد ما خرجت يوم الجمعة ١٧ رمضان ١٣٧٨ هـ فى الرباط عاصمة المملكة المغربية جبر الله صدعها وجمع القلوب فيها بمنه وكرمه •



﴿ الفهرس الاول في عناوين الرحلة ﴾

(اعلم أن تفاصيل ما تحتوى عليه لايدرك الا بالتتبع • وحين كانت الرحلة صغيرة أعرضنا عن الفهرس المفصل لما تحت كل عنوان)

﴿ الفهرس الثاني في الاخطاء المطبعية ﴾

ص	س	خطأ	صواب
٦	١٧	بالله اعتنى	بـالله اعتمى
١١	٢	يقدر	بقدره
١٣	٢٩	في الحسن	في الحس
١٩	١٢	ءاخر	أخرى
٢٠	٢٦	المكام	المكارم
٢٣	١٦	على فور	على قدر
٢٣	٢١	اذا	اذ
٢٨	١	حلف	حليف
٢٩	٢٥	ومن وراء	ومن ورا
٣١	١٦	مثـوا	مشوا
٣٣	٧	صرت	مرّت
٣٤	٣	بئان	فئاب
٣٤	٢٥	امتى قد تركت	أمتى تركت
٢٥	١٥	ببين	يبين
٣٨	٢	ما وعى	من وعى
٤١	٢٠	وذلك	وذاك
٤١	٣١	يمتلىء المعاء	تمتلىء الامعاء
٤٥	٢٤	اذ بها	اذا بها
٤٧	٢٩	أقضى	أقصى
٤٨	١	أرادا	أراد
٤٩	١١	مع الادب	مع الاب
٤٩	٢٥	من عادتها	عادتها
٥٠	٢٣	من هذا	من هذى
٥٣	١٩	في صفهم	في صقعهم
٥٥	١٥	ذاك	ذلك
٥٦	٣٠	بوجد	بوجه
٥٦	٦	كالمبدر	كالبدر
٥٧	٢٦	الرفـع	الربـع
٥٨	١٨	لذلك	لذاك
٥٨	٢٧	تزحزت	تزحزح
٥٩	٥	ودم	أدم
٦١	٢٧	فذاك	فذلك
٦١	٣٤	ووعدهم	ووعده